

ملاحق

وهى بحوث منفصلة تدور فى إطار علم الأديان

obeikandi.com

الملحق الأول

الجذور التاريخية لصراع الوجود في فلسطين

يدور الصراع بين البشر منذ الأزل ، منذ أن قتل ابن آدم أخاه ؛ فهو يمتد عبر التاريخ كله ؛ لأنه صراع بين الخير والشر ، ولن يزول من المجتمعات الإنسانية ما دام هناك نفوس تسعى لتملُّك ما بيد الغير ، وطموحات لا تقف أمامها حواجز الشرعية والقانون ، وطبائع استولى عليها حب الشهرة والجاه ، وملكته زمامها نوازغ الشر وهمزات الشياطين ، وتطلعات جامحة إلى الثروة والجاه والسلطان ؛ فقد سالت الدماء أنهاراً ، وسقط القتلى زرافات ووحداً في ساحة القتال ، ودُمِّرت منشآت حضارية بال سلاح الذي ابتكره الإنسان ، وتفنن في تطويره للسيطرة على الغير ، واستلاب ما يملكه من ثروات ومقتنيات ، وفرض سلطانه على أرضه ، كى يستترف قواه ، ويتحكم في مصادر ثروته حتى تخضع إرادته لهواه ، فيملك مقادير حياته ليستخدمها في بناء ملكه وسلطانه .

هذا هو التصور العام لكل أنواع الصراعات التي وقعت - وما زالت تقع كل يوم في جميع أرجاء المعمورة - في المجتمعات الإنسانية عبر الزمان والمكان ، لكن الصراع الاستيطاني هو من أبشع أنواع الصراعات - إن لم يكن أبشعها على الإطلاق - على مدى تاريخ البشرية ؛ لأن هدف المعتدى هو سلب وطنٍ بأكمله ، واقتلاع إنسان من أرضه التي هي جزء من كيانه وكيونته ؛ فهو - أى الوطن - بمثابة جزء من جسم المعتدى عليه ، فمن يطرده منه فكأنما خلع جذوره التي تمده بالحياة ، وسمم هواءه الذي يستنشقه فينهى حياته بدل أن يمدّه بالأوكسجين الذي هو عنصر أساسى لاستمرار الحياة .

فالاستعمار الاستيطاني هو صورة مجسمة للشر ، إن لم يكن هو الشر نفسه . وهل هناك ما هو أقسى من هدم البيوت على رعوس ساكنها ، وشق بطون الحوامل ، وقتل الضعفاء من الشيوخ والأطفال ، وتدمير الأخضر واليابس ، وضرب الحصار حول السكان ليموتوا من الجوع والعطش إن لم تفترسهم آلام الجراح التي تترف دماً ولا تجد من يداويها ؛ لأن قساوة قلب المعتدى قُدَّت من حجر ، بل هي أقسى من الحجر كما أخبرنا المولى عز وجل في قوله تعالى : ﴿ لَمَّا قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ

كَالْحِجَابَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَابَةِ لَمَا يَتَجَرَّ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِمُغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة : ٧٤]

حقاً ! لا يوجد أقسى مما يرتكبه الصهاينة في فلسطين ، ولا أشنع من ممارساتهم الوحشية مع أطفال الحجارة ، وكيف لا وهم أحفاد يشوع بن نون الذى أمر جنوده بأن يحرقوا المدينة (أريحا) بمن فيها من الرجال والنساء والأطفال كما جاء في كتبهم المقدسة .¹⁹⁵ ولم يقتصر الأمر على حرق أريحا ، بل كان هذا شأنهم في كل مدينة استولوا عليها ؛ إذ عندما استولى جيش يشوع على مدينة (عاي) أطلق اليهود على أهلها فذبحوهم جميعاً ، وكان عددهم اثني عشر ألفاً ، ونهبوا كل ممتلكاتهم وبهائمهم ، ثم أحرقوا المدينة ، فلم يتركوها إلا رماداً ، وأسروا ملكها وقدموه إلى يشوع فشققه على شجرة وترك جثته معلقة حتى المساء ، ثم أنزلها وطرحها عند مدخل المدينة ... وهكذا فعلوا في كل مدينة استولوا عليها ، فمن لم يُقتل صار عبداً لهم وعاملوه معاملة أقل مما تُعامل بها الدواب والأنعام.

قد يقال : إن هذه المعاملة كانت سمة العصور القديمة ؛ إذ كان المنتصر يتحكم في أقدار المهزومين ، لكن اليهود عاملوا المهزومين بأقسى مما كان معروفاً في ذلك العصر في مثل هذه الحالات ، يؤيد ذلك ما فعلوه اليوم مع الفلسطينيين ، فلم نسمع في التاريخ الحديث أن مُستعمراً قمع ثورة شعب يريد حريته واستقلاله بالدبابات والطائرات والصواريخ¹⁹⁶ ، فمشروعية الثورة تُحتّم على المستعمر أن يكون أكثر حكمة في مواجهتها ، حتى لا تشذ ممارساته ضدها عما ارتأته الدول المتحضرة ، وصاغته في قرارات وتوصيات أجمعت عليها الدول في منظمتها الدولية ، ولكن الصهاينة هم أحفاد يشوع بن نون !!!!

أين وطن اليهود ؟

يدعى اليهود أن أرض فلسطين هي موطن آبائهم وأجدادهم ، وأن من حقهم أن يعودوا إليها ويستردوها بعد ما ضاعت منهم هذه السنين الطوال ، وهذه ادعاءات لا سند لها من التاريخ ؛ إذ تبين المصادر التاريخية والدينية أن آباءهم الأوائل (إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب عليهم السلام) لم يستقروا في مكان ، فلم يكن لهم موطن ثابت ، بل كانوا يرحلون من مكان إلى آخر ، شأنهم في ذلك شأن البدو

¹⁹⁵ (..... وأحرقوا المدينة (أريحا) بالنار مع كل ما بها) [يشوع : الإصحاح السادس]

¹⁹⁶ قمع السوفيت في عام ١٩٦٨ ثورة براغ بالدبابات ، ولكنهم لم يستخدموا الصواريخ والطائرات ، ومع ذلك استكر المجتمع الدولي ذلك الإجراء وعدوه مخالفة صريحة لميثاق الأمم المتحدة فيما يتعلق بحق الشعوب المستعمرة التي تتور على مستعمرها .

الرحل ، فقد ذكرت المصادر أن أباهم الأول إبراهيم وُلِدَ قبل الميلاد بنحو ألفى عام في مدينة " أور " ، إحدى المدن الكلدانية التي كانت تقع في منطقة ما بين النهرين ، ثم رحل مع ذويه إلى مدينة أخرى تسمى (حاران) ، وكانت تقع على أحد فروع نهر الفرات ، في بلاد الآراميين ، وبعد أن استقر بها فترة من الزمن رحل عنها مع ابن أخيه لوط إلى أرض كنعان المعروفة اليوم بأرض فلسطين . ولما كان إبراهيم قد نزع من أرض الآراميين فقد جاء في التوراة أنه كان آرميا ، أما الكنعانيون فقد لقبوه - حين وفد إليهم - بالعبراني ، كما عُرفَ نسله بالعبرانيين .

فعلام تدل هذه التسمية ؟

ورد لفظ " عبرى " في مواضع كثيرة من التوراة بمعنى **الغريب أو الأجنبي** ^{١٩٧} ، وهناك إشارات إلى أن اللفظ : " **عبروى** " استخدم على لسان الشعوب التي عاش العبريون بينهم بمعنى غريب ، فكانوا يطلقون عليهم : **العبريون أو العبرانيون** " ويقصدون بذلك : " **الغرباء** " بل إن التوراة نفسها تتحدث عن العبريين بصفتهم غرباء بما قد يعنى أن العبرى هو الأجنبي الذى يعيش بين أهل البلد ، كما كان هو حال اليهود في الأماكن التي نزلوا فيها .

استقر إبراهيم بعض الوقت في مدينة " شكيم " المسماة اليوم " نابلس " ، ثم لم يلبث أن رحل من هناك وضرب خيامه في الجبل القائم بين " عامى " و " بيت إيل " في الشمال الشرقى من مدينة " شاليم " أى " السلام " ، وهى التي أصبحت بعد ذلك معروفة باسم " أورشليم " أى "مدينة السلام " . ثم غادر هذا المكان وراح يتوغل ناحية الجنوب في أرض كنعان ، متنقلاً من موضع إلى موضع ، شأنه شأن البدو الذين ينتقلون باحثين عن المراعى الخصبة لمواشيهم ، فلا يستقرون في مكان ، ولا يملكون أرضاً بعينها .

وحين أجديت هذه المنطقة رحل إبراهيم مع ذويه إلى مصر ، وكان ذلك على الأرجح في عهد المكسوس .

أما إسحاق فحين أجديت المنطقة التي كان يرعى ماشيته فيها رحل إلى " جرار " بفلسطين واستقر هناك مدة حتى طرده " أبيمالك " ملك الفلسطينيين ، فمضى من هناك وأقام في بئر سبع . ولا يختلف الأمر بالنسبة ليعقوب ؛ فقد أقام في حران ، ثم رحل إلى كنعان ، وأخيراً رحل مع بنيه إلى مصر .

¹⁹⁷ التكوين ١٩ : ٨ ، ٤١ : ١٢ ، الخروج ١ : ١٩

كان هذا حال آباؤهم الأوائل ، لاوطن لهم يستقرون فيه ، ولا أرض يملكونها ، بل كانوا يرحلون من مكان إلى آخر بحثاً عن المراعى لماشيتهم ، الأمر الذى حتم عليهم أن يعيشوا فى أماكن متفرقة بين مصر والشام والعراق .

فأين عاشوا بعد انقضاء عصر الآباء ؟

ظل اليهود خاضعين لحكم المصريين زهاء أربعمئة وثلاثين سنة ، إلى أن خرج بهم موسى عليه السلام إلى سيناء وظلوا يرحلون فى صحرائها من مكان إلى آخر - تالهن فيها - مدة أربعين سنة ، يقول الله تعالى : ﴿... قَالَ فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَسِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٦] مات فيها موسى عليه السلام ، وكان قد عيّن قبل موته تلميذه ، يشوع بن نون خليفة له فى الزعامة على اليهود وقيادتهم . انحصرت مهمة قيادة يشوع لبني إسرائيل فى قيادته لهم فى الإغارة على أرض فلسطين وافتصاها من أصحابها الأصليين ، ثم تقسيمها بعد ذلك على أسباطهم ، و استخدم اليهود فى سبيل ذلك كل وسائل العنف ، من قتل ، وتشريد و حرق للمدن الذى كانوا يستولون عليها ، واستغرق ذلك سبع سنين استولى فيها اليهود على فلسطين ، ولم يبق منها خارج سيطرتهم سوى مناطق صغيرة ، كان يسكنها أهل الأرض فى غزة ، وأشدود ، وعسقلون^{١٩٨}

لما شعر يشوع بن نون باقتراب أجله دعا إليه رؤساء اليهود وشيوخهم وأوصاهم بأن يقضوا على البقية الباقية فى الأراضى المجاورة والشعوب التى اغتصبوا بلادها ، وحظر عليهم مهادنة هذه الشعوب أو الاختلاط بها ومصاهرتها أو عبادة آلهتهم قائلاً لهم : " وَأَعْطَيْتُكُمْ أَرْضاً لَمْ تَتَّبِعُوا عَلَيْهَا ، وَمُسَدُّناً لَمْ تَبْنَوْهَا وَتَسْكُنُونَ بِهَا ، وَمِنْ كُرُومٍ وَزَيْتُونٍ لَمْ تَعْرِسُوهَا تَأْكُلُونَ " [يشوع ٢٤ : ١٣ - ١٤]

¹⁹⁸ يرى البعض أن الكنعانيين الذين سكنوا فلسطين جاءوا أثناء الهجرات القديمة من الجزيرة العربية ، فقد كشفت الآثار عن مدن كنعانية تدل على توطن هذا الشعب العربى لفلسطين من قديم الزمان ، تشهد بذلك آثارهم التى اكتشفها الأثريون فى ربوع هذا البلد ، فقد كان لهذا الشعب العربى حضارة قديمة ، ولكن كان عيهم الرئيسى هو تفككهم السياسى فى شكل حكومات فرعية يحكمها أمراء مستقلون : فلم يستطيعوا ضم هذه الحكومات المتعددة تحت قيادة حاكم واحد وإقامة دولة كنعانية قوية لما سهل على العبرانيين الاستيلاء على جزء كبير من أرضهم ، واحتلالها مدينة بعد أخرى أيام القائد اليهودى يشوع بن نون كما تصف التوراة إلا أنه - مع ذلك - لم يتمكن الإسرائيليون من بسط سلطتهم الكامل بصفة دائمة على كافة الضفة الغربية للأردن ، لأن جزءاً كبيراً ظل فى أيدي الكنعانيين . وظلوا فى صراع دائم معهم نحو مائتى عام . [انظر إسكندر ١٨ - ١٩]

وبعد موت يشوع بن نون عاش اليهود عيش قبائل البدو ، لارتبطهم رابطة أو يجتمع لهم شمل إلا إذا تعرضوا للخطر ، فعندئذ يقيمون لهم زعيماً يتولى قيادتهم ودفع الخطر عنهم . ثم يتولى بعد ذلك رعاية شئونهم والقضاء بينهم ، ولذلك كانوا يسمون ذلك الزعيم قاضياً . وقد ذكرت التوراة أسماء بعض أولئك القضاة مع لمحات من أعمالهم ، وهم : "عثنيل" و "أهود" و "شمجر" و "دبورة" و "أيلون" و "عبدون" و "باراق" و "وجدعون" و "أيمالك" و "تولع" و "يانع" و "يفتاح" و "أبسان" و "شمشون" و "عالى" وكان آخر القضاة : "صموئيل" . وقد تزعم القضاة اليهود في فترات متفاوتة على مدى زمن يبلغ طبقاً لما ورد في التوراة نحو أربعمائة وخمسين سنة ، وكان يحدث أن يجتمع اثنان أو ثلاثة منهم في وقت واحد .

وبعد عصر القضاة بدأ عصر الملوك ، ولم تكن فلسطين خاضعة كلها لهم ؛ إذ كانت بينهم وبين الفلسطينيين مواجهات عدة سالت فيها دماء من الجانبين أثماراً ، وتحدى الفلسطينيون اليهود في مواقع عدة ؛ إذ يذكر التاريخ أن الفلسطينيين جمعوا جيشهم لقتال اليهود في بقعة غربي بيت لحم ، بين "شوكوه" المسماة اليوم "الشويكة" و "عزيقة" المسماة اليوم "تل زكريا" ، فحشد "شاول" جيشاً من اليهود في "وادي البطم" المسمى اليوم "وادي السنط" جنوب غربي أورشليم ، ووقف كل من الجيشين على جبل مرتفع يفصل بينهما الوادي ، فخرج رجل من صفوف الفلسطينيين اسمه "جالوت" ، ضخم الجسم طويل القامة ، يلبس خوذة من نحاس ، ودرعاً من نحاس على صدره وفوق كتفيه وحول قدميه ، ويحمل في يده رمحاً كنول النساج ، له سنان ثقيل من حديد ، وبين يديه رجل يحمل ترسه الضخم . وقد وقف بين صفوف اليهود متحدياً إياهم أن يخرج واحد منهم لينازله فإن قتله اليهودى صار الفلسطينيون جميعاً لليهود عبيداً ، وإن قتل هو اليهودى صار اليهود جميعاً للفلسطينيين عبيداً . فلما سمع اليهود كلامه ارتاعوا وخافوا جداً ، ولم يجرؤ أحد منهم على أن يتقدم لينازل ذلك الجبار . وقد ظل أربعين يوماً يكرر تحديه كل صباح ومساء ، واليهود جيناء محجمون . ثم اتفق أن جاء داود من وراء الغنم التي يرعاها ليطمئن على إخوته الذين كانوا ضمن جيش اليهود ، فسمع ما يقوله "جالوت" فأبدى استعدادة لمنازلة ذلك الرجل ، ثم أخذ مقلاعه ووضع فيه حجراً وقذفه على الفلسطيني ، فأصابه في جبهته ، فانطرح على الأرض وعندئذ ركض داود واستل سيف الفلسطيني وقطع به رأسه . وكانت هذه أول خطوة على طريق تولي داود الملك .

مملكة اليهود

وقعت بين داود وبين شاول مناوشات ومصدامات ، كما حدثت بينه وبين الفلسطينيين معارك في بريسة فاران شرقي بئر سبع ، وفي أفيق التي تقع مكانها اليوم " رأس العين ، وغيرهما في ربوع فلسطين وكانت الحرب بينهم سجلاً غضب صموئيل من شاول لأنه لم يقتل ولم يهلك جميع ماشية عماليق كما أمره ، وعقاباً له على ذلك قال له : إنه قد خلعه فلم يعد ملكاً على اليهود وأقام داود ملكاً بدلاً منه بعد مقتل شاول في المعارك التي دارت بينه وبين الفلسطينيين خلا الجو لداود ، فجاء إليه في حبرون نحو ثلاثمائة وستون ألف رجل يمثلون جميع أسباط اليهود ومسحوه ملكاً عليهم ، وكان ذلك في نحو عام ١٠٤٨ قبل الميلاد . وكان داود في نحو الثامنة والثلاثين من عمره ، فاتخذ أورشليم عاصمة له ، واستولى من اليوسيين على حصن صهيون الذي كانوا يحتلونه خارج أسوار أورشليم وأقام في مكانه مدينة سماها مدينة داود . استقر به الحال فاتجه إلى مظاهر الفخفة الملكية وكان في أيام داود نبى اسمه جاد ، وقد جاء إلى داود وأشار عليه بأن يبني مذبحاً للرب في حقل ' أرنان ' اليوسى فوق جبل المريا شرقي أورشليم . فاشترى داود ذلك الحقل بخمسين شاقلاً من الفضة وبني هناك مذبحاً ، وفي موضع هذا المذبح بنى سليمان هيكل أورشليم .

وحين حضرت الوفاة داود استدعى ابنه سليمان وزوده بوصاياه ، ومنها أن يتمسك بشريعة موسى، وأن يبني هيكل أورشليم الخ ، ومعت داود في نحو ١٠١٥ قبل الميلاد ، بعد أن ملك أربعين سنة ، منها سبع سنين على سبط يهوذا في حبرون ، وثلاث وثلاثون سنة على كل أسباط اليهود في أورشليم. وكان عند موته في السبعين من عمره : وقد دفنه ابنه سليمان عند أسوار أورشليم .

وملك سليمان من ١٠١٥ حتى ٩٧٥ قبل الميلاد^{١١١} وبعده انقسمت مملكة اليهود إلى مملكتين ، مملكة يهوذا في الجنوب (من ٩٣٠ إلى ٥٨٦ ق . م . وكان لها ٢٠ ملكاً) ، ومملكة إسرائيل في الشمال (من عام ٩٣٠ إلى ٧٢٢ ق . م . وكان لها ١٩ ملكاً) ، ودارت الحروب بينهما تارة وبينهما وبين الفلسطينيين تارة أخرى حتى عام ٧٢٢ قبل الميلاد حيث قضى الملك " شلمنصر " ملك الأشوريين

¹⁹⁹ تذكر بعض الرويات أن داود لم يتول ملك بني إسرائيل إلا سنة ١٠٠٤ قبل الميلاد وظل ملكاً عليها حتى ٩٦٣ ق.م. وسليمان من عام ٩٦٣ حتى عام ٩٢٣ ق.م. ولهذا يكون ملك بني إسرائيل استمر ٨١ عام على اعتبار أن هذا صحيح ، وهو مخالف لرأى أغلبية المؤرخين.

على المملكة الشمالية وسبى اليهود إلى مدينة " نينوى " بشمال العراق . كما احتل الملك البابلي " نبوخذ نصر " القدس عام ٥٩٣ قبل الميلاد ، وقبض على ملكها وكل رجاله ، وسباهم إلى بابل ، واستولى على كل خزائن الهيكل ومقتنياته ثم أحرقه ، فأخذ رئيس الكهنة زكريا بن يهودية ثياب الكهنوت ، وألقى بها في النار ، وقال : مادام قد احترق الهيكل فلم يعد هناك حاجة إلى كهنة ، ثم ألقى بنفسه في النار ، وحذا حذوه جميع الكهنة الموجودين .

وما سبق يتبين أن مُلك اليهود لم يدم إلا نحو ٧٣ سنة ، من عام ١٠٤٨ حتى ٩٧٥ قبل الميلاد ، ولم تكن أرض فلسطين كلها تحت سيطرتهم ، بل إن اليهود أنفسهم كانوا منقسمين على داود في السنين السبع الأولى من حكمه ؛ إذ لم يجتمعوا على مبايعته إلا بعد سبع سنين من ملكه .

ويقرر جميع المؤرخين أنه بعد السبى البابلي انتهى الوجود اليهودي في فلسطين نهائياً ، ولم يتمكن اليهود من استعادة كياناتهم السياسية ، بل عاشوا مجرد طائفة دينية يرأسها كاهن .^{٢٠٠}

وما تجدر ملاحظته أن الباحث في تاريخ الشرق الأوسط يجد أنه على طول ما عاش الإسرائيليون في فلسطين ، وما خاضوا من حروب مع جيوشهم العرب وغيرهم ، لم نجد لهم ذكراً في كتب المؤرخين المعاصرين لهم - كبقية الشعوب الأخرى - مما يدل على أن الشعب اليهودي لم يكن سوى شعب قبلي ، حروبه عبارة عن غزوات قبلية ضئيلة ، يمكن أن تكون أشبه بتلك التي كانت تحدث في الجزيرة العربية في زمن الجاهلية ، بل إن التوراة نفسها لم تذكر أن اليهود قد سيطروا على فلسطين كلها في يوم من الأيام ، على الرغم من صغر مساحتها . بل إن سليمان في مجده الذي أضفته عليه الأساطير العربية الخيالية لم يكن في

²⁰⁰ وكذلك كان حالهم تحت حكم الفرس واليونان ، وأيضاً الرومان الذين أحرقوا الخراب والدمار بأورشليم ، كما أحرقوا الخراب والدمار بأكثر من ألف مدينة وقرية أخرى من مدتهم وقرامهم ، وقد أبادوا معظمهم فلم يبق منهم إلا عدد قليل تفرقوا هائمين على وجوههم في كل أنحاء الأرض ، وظلوا غرباء مشردين مطرودين مكروهين محترق من الناس في كل أرض وفي كل جيل ، فتحققت بذلك نبوءات أنبياء اليهود أنفسهم . ومن ذلك ما تنبأ به أرميا النبي إذ قال : " هاهي ذى أيام تأتي ، يقول الرب : تصير جثث هذا الشعب أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض ... وأجعل أورشليم رجماً ومأوى بنات آوى ، ومدن يهوذا أجعلها خراباً بلا سكن ... هانذا أطعم هذا الشعب أفستينا وأسقيهم ماء العلقم وأبدهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آبائهم وأطلق وراءهم السيف حتى أفتيهم ... وأركل عليهم أربعة أنواع يقول الرب : السيف للقتل ، والكلاب للسحب ، وطيور السماء ووحوش الأرض للأكل والإهلاك ، وأدفعهم للقلق في ممالك الأرض " [أرميا

٧ : ٣٢ ، ٩ : ١١ و ١٥ ، ١٦ ، ١٢ : ٤-١]

الواقع إلا ملكاً صغيراً يحكم مدينة صغيرة ، وأن ما أضفته الأساطير عليه من مجد وجاه ليس إلا تقديراً نسبياً يقاس بمن حوله من الملوك والأمراء القبلين في فلسطين وما حولها ، كما أن هيكله - إذا قيس بأبعاده التي جاءت في سفر الملوك - لا يعدو أن يكون بحجم كنيسة صغيرة من كنائس الضواحي في المدن الأوروبية ، على حد تعبير المؤرخ الكبير " ويلز Wells " الذي يضيف بأنه لا يقارن بضخامة المعابد البابلية أو المصرية القديمة . وقد أكد العالم الأثرى المشهور " برستد Breasted " أن سليمان الحكيم لم يكن سوى والياً من الولاة الخاضعين للحكم المصري.²⁰¹

القدس

كانت في الأصل تسمى " يوس " لأنها كانت عاصمة اليوسيين ، ويذهب بعضهم إلى أن الكنعانيين سموها "سالم" نسبة إلى كنعان مشهور ، وقال " التيروزآبادى " : " شليم " ، و " شاليم " اسم البيت المقدس، ومنه اشتق الأوريون Jerusalem . وأول من أحاط المدينة بسور هم اليوسيون العرب ، سكان القدس (نحو ٢٥٠٠ ق . م .) . وكان اليهود آنذاك بدواً رُحَلًا ، يرحلون من مكان إلى آخر يبحثون عن المراعى الخصبة لمواشيهم ، ابتداءً من شمال العرلق حتى مصر . ومن المعروف أن اليهود لم يسكنوا القدس إلا بعد أن استولى عليها الملك داود ، وظل عددهم يتأرجح نتيجة الغزوات التي تعرضت لها المدينة بعد ذلك من الأشوريين ، والبابليين ، والفرس ، والرومان الذين حرّموا عليهم دخولها بتاتاً منذ عهد " هديران " سنة ١٣٥ م ، ثم سمح لهم صلاح الدين بالمعيشة فيها ، مع العلم بأن الصليبيين كانوا قد طردوا جميع اليهود منها . وجدير بالذكر أنه لم يكن بها في القرن الثاني الميلادى سوى يهودى واحد على قول السائح اليهودى " بتاحيا " الذى زار القدس في هذا القرن .

المسار التاريخى للقدس

يذكر لنا علماء الآثار أن أول من سكن القدس قبائل بدائية في العصر الحجري القديم ، وقد وجدوا هجمة (موجودة حالياً بمتحف القدس) يطلق عليها : " الإنسان الفلسطيني القديم " . ويذكر المؤرخون أن الكنعانيين بنوا المعابد الضخمة ، والقصور الفخمة في فلسطين . وقد كشفت الآثار عن مدن كنعانية تدل على حضارة هذا الشعب العربى ، لكن كان عيبتهم الرئيسى هو تفككهم السياسى فى شكل حكومات فرعية

²⁰¹ إسكندر ٣٢

يحكمها أمراء مستقلون ، فلم يستطيعوا ضم هذه الحكومات المتعددة تحت قيادة حاكم واحد وإقامة دولة كنعانية قوية مما سهل على العبرانيين - فيما بعد - الاستيلاء على أجزاء كبيرة من أرضهم ، واحتلالها مدينة بعد أخرى أيام القائد اليهودي يشوع بن نون كما تصفة التوراة ، إلا أنه - مع ذلك - لم يتمكن الإسرائيليون من بسط سلطاتهم الكامل بصفة دائمة على كل الضفة الغربية للأردن ، لأن جزءاً كبيراً ظل في أيدي الكنعانيين ، وظلوا في صراع دائم معهم نحو مائتي عام .

بناء القدس

هناك أسطورة نقلها بعض الكتاب الغربيين عن " يوسيفوس " ، و " بلوتارك Plutarch " ومصدرها المؤرخ المصري " مانيتون Manetho " تقول بأن القدس بنيت على يد المكسوس ، بعد طردهم من مصر على يد تحتمس الثالث سنة ١٤٧٩ ق . م . بعد أن هزمهم في معركة " مجدو " ، وخضعت له كل فلسطين . وأقام على المدينة المقدسة حاكماً مصرياً ، ولكن يرجح البعض أن اليبوسيين - وهم فرع من سلالة الكنعانيين العرب - هم الذين بنوها تحت قيادة ملكهم المسمى " ملكيصادق " . وكان القراعنة يحكمون فلسطين عن طريق ولاة من أهلها بشرط أن يدفعوا الجزية ، ولم يكونوا يتعرضون لمعتقداتهم الدينية ، أو عاداتهم المحلية ، ولم يصيبوهم بسوء .

عندما أغار عليها القائد اليهودي " يشوع بن نون " - بعد خروج اليهود من مصر - لم يتمكن من الاستيلاء على القدس ، وظلت المدينة المقدسة تحمل اسم " ييوس Jebus " وبقي حصنها قائماً في قلب الولايات الإسرائيلية . يقول الكاتب الأمريكي " ستيمسون جورج " أن بني يهوذا ، وبني شمعون تمكنوا من حرق المدينة وأسروا بعض اليبوسيين ، لكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على الحصن القائم على جبل صهيون . وكان من نتيجة ذلك أن أعاد اليبوسيون بناء المدينة . وبقيت في أيديهم خلال حكم القضاة وفي عهد شاول الملك .

لم يدخل أحد من الإسرائيليين مدينة القدس حتى سنة ٩٩٧ ق . م . حين دخلها داود ^{عليه السلام} ، تشهد بذلك أسفارهم ؛ إذ جاء في سفر القضاة (١٩ : ١١ - ١٢) أن رجالاً إسرائيلياً وامراته وغلამه كانوا مسافرين ذات يوم فأدركهم الليل ، فطلب الغلام من سيده أن يترلوا في ييوس (القدس) ، ولكن السيد رفض ذلك معللاً بأنه لا يعيل إلى مدينة غريبة ، حيث ليس أحد من بني إسرائيل هناك وحتى بعد

²⁰² طبقاً للرواية القائلة بأن ملك داود بدأ في ١٠٠٤ حتى ٩٦٣ ق . م .

استيلاء داود عليها كان اليهود الذين سكنوها أقلية بين اليوسيين ، وظلوا كذلك حتى السبي البابلي سنة ٥٨٦ ق. م.

ومما تجب الإشارة إليه في هذا المجال أن الملك داود لم يستطع طرد السكان اليوسيين المتمسكين بأرضهم ، فبقى في القدس عدد كبير منهم ، حتى أنه في أيام سليمان استخدم الفلسطينيين في بناء هيكله وقصره ، طبقاً لرواية العهد القديم .^{٢٠٢}

ويقرر جميع المؤرخين أنه بعد السبي البابلي – كما ذكر سابقاً – انتهى الوجود اليهودي في فلسطين نهائياً (٥٩٣ ق. م) . ولم يتمكن اليهود من استعادة كياناتهم السياسية ، بل عاشوا مجرد طائفة دينية يرأسها كاهن كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

هيكل سليمان

كان الإسرائيليون منذ أيام موسى النبي حتى عهد داود يقيمون شعائرتهم الدينية في خيمة تُفكّك وتُرَكَّب في أى مكان (خيمة الاجتماع) ، أثناء ترحالهم من سيناء وتسللهم إلى أرض كنعان تدريجياً ، فرأى سليمان الاستعاضة عنها بمبعد بُني من الحجارة ، فاختار مكاناً على جبل موريا في جنوب شرق القدس .

جاءت الإشارة إلى نقل ملكية الأرض التي بُنيَ عليها الهيكل في سفر صموئيل (٢٤ : ١٨ - ٢٥) وفي سفر أخبار الأيام الأول (٢١ : ١٨ - ٢٦) تضاربت روايات اليهود عن كيفية انتقال ملكية المكان الذى بُنيَ عليه الهيكل وقيمة ثمنه ؛ فزعموا أن هذه البقعة كانت بيدراً لرجل ييرسى يدعى "أرونه" ، وأن داود قد اشترى منه اليبدر ليقم عليه مذبحاً للرب (الهيكل) ، فمن قائل إنه خمسون شاقلاً من الفضة ، وآخر يقول إنه ستمائة ، وإزاء هذا التضارب يتبادر إلى الذهن هذا التساؤل : أليس من الجائز أن يكون الكاتب اليهودي أو الكتاب غير المعروفين الذين كتبوا نصوص شراء الملك داود لبقعة الأقصى بعد السبي في صموئيل والأخبار كان هدفهم أن تكون تلك المقولة نقطة تجميع لليهود ليرددوا بأن أرض الأقصى هي لهم بحكم ما تعارف عليه جميع الناس وهو البيع والشراء ، لا بحكم ما لم يعترف الناس لهم به من أنهم إنى الأبد هم شعب الله المختار ؟ ، وذلك بعد زوال مملكتهم من الوجود بإسقاط بابل لها وسوقهم أسرى إلى بابل [السبي البابلي ٥٨٦ - ٥٣٦] ثم احتلال الفرس لهم ، ثم اليونان ، ومن أجل هذا جاء التناقض

²⁰³ انظر أخبار الأيام الثاني ٨ : ٧

الصارخ بين النصين في ثمن الشراء ، إلى جانب تناقض نصى الشراء مع مسلك الإسرائيليين الفعلى فى احتلالهم لما استطاعوا احتلاله من أرض فلسطين بأمر الرب إله إسرائيل ... وفعلاً فإنه مع كل هذه التناقضات فإن اليهود على مر العصور - حتى وقتنا هذا - يتغامزون - بل يصرون - على مقولة شراء الملك داود لأرض المسجد الأقصى ، ... كيف أصبحت البقعة المقدسة التى كانت معبداً لليوسيين وملكهم العربى " ملكي صادق " " بيدراً " وملكاً لفرود واحد هو " أرونه " اليوسى السذى ذكرت نصوصهم - ادعاءً - أن الملك داود اشتراها منه؟ ومتى كان ذلك؟ وهل تراجع اليوسيون عن عبادتهم لله الواحد العلى، خالق السماوات والأرض وتنازلوا عن معبدهم فى البقعة المقدس حتى يصح المعبد بيدراً؟ ألم يشر رواة التوراة أنفسهم إلى أن إبراهيم عليه السلام قد أتى إلى هذه البقعة المقدسة لكى يقدم ابنه إسحاق عليها ليذبحه هناك ، مع رفضنا لأقوالهم ؛ لأن الذبيح عندنا فى الإسلام - وكما أكدته المصادر الإسلامية - هو إسماعيل ، وفى مكة ، لا فى القدس ، وكذلك ألم يشر رواة التوراة إلى أن " أرونه " اليوسى كان يعرف ما معنى تقديم الذبيح للرب ؟

ومن خلال هذه التساؤلات نخلص إلى النتيجة التالية : إن الإسرائيليين أرادوا نفى قدسية الموقع بالنسبة لليوسيين ، ولذلك جعلوه بيدراً بدلاً من أن يشرروا إليه كمعبد ، لأن المعبد لا يمكن أن يملكه فرد فيباع ويشترى ، إن رواة التوراة أنفسهم يشرروا إلى أن " أرونه " كان يعرف الذبيح للرب ، مما يدل على أنه كان يمارسه مع بقية شعبه العربى اليوسى ، وهذا يؤكد بأن الموقع استمر معبداً لله العلى القدير طيلة عهد اليوسيين ، ولم يتحول إلى ملكية خاصة لفرود لكى يتصرف به كما يحل له ، فيقيمه بيدراً أو ما شابه ذلك ، إنه معبد فقط ومسجد لله تعالى ولذلك فإن داود عليه السلام قد شرع يعد لإقامة المسجد الأقصى على قواعده السابقة فى الموقع نفسه الذى كان معبداً لليوسيين ،ومن هنا فإن روايات الإسرائيليين فى توراتهم حول شراء داود عليه السلام للموقع من " أرونه اليوسى " ، وأنه كان بيدراً ، هى روايات مختلفة أساساً لا صحة لها على الإطلاق .²⁰⁴

والجدير بالذكر أن العرب هم الذين ساهموا فى بنائه لعدم خيرة اليهود بالفن المعمارى فى هذا الوقت، فكان رسمه على طراز مصرى أشورى ، كما ساهم الفينيقيون العرب فى بنائه بخشب الأرز والسرو من لبنان.

²⁰⁴ أبو عثيان ٧٤ - ٧٦

زعم رواية التزارة أن الهيكل أقيم على جبل موريا ، ولكنهم لم يشيروا ، إلى تحديد مكانه بالضبط ، جاء في سفر أخبار الأيام الثاني (٣ : ١) " وما شرع سليمان في بناء بيت الرب في اورشليم في جبل الموريا حيث تراءى لداود أبيه حيث هيا داود مكاناً في بيدر " أرنان " اليوسى " وأشار اليهود في التلمود إلى أن الهيكل أقيم على بقعة من مسجد الصخرة المشرفة ، وقد علق الدكتور محمد أحمد محمود حسن على ذلك الادعاء بقوله : " ويقال بأن هيكل سليمان كان على بقعة من مسجد الصخرة المشرفة ، ولكن بين ما ذكره التلمود عن الصخرة التي كانت نواة قدس الأقداس - وعليها أقيم هيكل سليمان - وبين الصخرة المشرفة ، صخرة المعراج ، - وعليها أقيم مسجد الصخرة المشرفة - تباعد كبير ؛ فقد وصف التلمود صخرة الهيكل بأنها ترتفع عن مستوى سطح الأرض بثلاثة أصابع ، بينما صخرة المعراج - والتي أقيم عليها مسجد الصخرة - ترتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو متر كامل كما هو واقع اليوم " " وعليه فإن مكان الهيكل لم يكن ضمن ساحات الحرم الشريف ، ولا ضمن أسوار القدس الشريف .²⁰⁵

وقد تهدم الهيكل عدة مرات كان آخرها وأشدّها سنة ٧٠ م ، وبقيت أساساته حتى سنة ١٣٥ م حيث أتى عليها الإمبراطور الروماني " هدریان " تماماً ، وبني محلها معبداً لـ " جوبتر " ، وبعد ذلك تهدم المعبد الوثني ، وذكر أحد المؤرخين أنه لم ير منه شيئاً سنة ٣٣٣ م .²⁰⁷

” ” ”

²⁰⁵ محمد أحمد محمود : المسجد الأقصى و الكتب المقدسة ٣٦

²⁰⁶ رائف نجم : القدس الشريف ١٤

²⁰⁷ إسكنلر ٢

الملحق الثاني

حوار الأديان ٢٠٨

أصبح الخطاب الثقافي في عالمنا العربي بوجه عام مُوجَّهاً من الخارج ؛ فالغرب يصدر لنا بين الحين والآخر مصطلحات ثقافية ، ومنطلقات فكرية لنتشغل بها ، إن تفسيراً وتوجيهاً وتأويلاً ، وإن دفاعاً عن النفس ، وتوسلاً وتودداً بأن مفهوم هذا المصطلح ، أو ذلك ، بعيد عن هويتنا وتعاليمنا ، ومحاولين - بأسلوب التوسل الذي قد يصل أحياناً إلى المذلة والمسكنة - إقناعهم بأننا لسنا متشددين ، ولا عدوانيين ، ولا متطرفين . وأحياناً يذهب البعض من مفكرينا إلى أقصى حد ممكن ليقنعهم بأننا متحضرون ، حتى ولو أدى الأمر إلى التنصل من مسلمات دينية ، والتبرؤ من أساسيات في منظومتنا الثقافية ، والابتعاد عن عادات وتقاليد تعتبر ركائز أساسية في تكويننا الثقافي والديني .

الأصولية

صدر الغرب لنا بالأمس القريب مصطلح : " الأصولية " - وهو ترجمة لكلمة : Fundamentalism - مشوباً بالتطرف ، وعدم الاعتراف بالآخر ، ورفض كل ما هو جديد ، وإعلان الحرب على الحضارة الحديثة ، مستهدفاً تدميرها ، ومحوها من الوجود ، وأوهمونا بأن مصدر ذلك كله هم المسلمون الذين يجاهدون في سبيل الله بالأسلحة والمتفجرات لإعادة بناء الدولة الإسلامية بالصورة التي كانت عليها في صدر الإسلام . شنت الصحافة الغربية حرباً إعلانية على المسلمين متهمة إياهم بأنهم أصوليون يحاربون الحضارة الحديثة ، ويعملون على تدميرها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، فتجاوب مثقفوننا مع رجوع صدى هذه الحملة ، محاولين التبرؤ من الأصولية ، ومن يدعون بأنهم أصوليون ، وداروا بذلك في فلك التيار الغربي ؛ فكلما ظهر على ساحة الأحداث مسلم يدافع عن دينه ، أهموه بالأصولية حتى ظن كثير من الناس أن صفة الأصولية وصمة عار ينبغي على المرء التبرؤ منها ، حتى لا يوضع اسمه في قائمة المطاردين من " العدالة الدولية " ، مع

²⁰⁸ هذا البحث نشر مع بحثين آخرين في كتابنا : " حوار الأديان ودرور الدعوة الإسلامية في مواجهة التحديات " ، رأينا ضمه إلى هذه الملاحق

لأن له صلة بموضوع الكتاب وهو الاتصال الفكري مع مخطى الأديان الأخرى .

أن الحقيقة التي كان يجب على متقفيها أن يتنبهوا لها : هي أن كل مسلم يحافظ على دينه ، ويلتزم بتعاليمه هو أصولي ، لأنه يتمسك بما جاء في المرجعيات الأصلية للإسلام ، وهي : القرآن الكريم ، والسنة النبوية . فالمفهوم الغربي للأصولية يختلف عن المفهوم الإسلامي ، لأن الأصولية في الغرب هي : حركة ظهرت في أمريكا في عام ١٩١٨م رداً على من كانوا ينقدون الإنجيل من الليبراليين ورجال الدين المتحررين . وأتباع هذه الحركة من عامة المسيحيين ، فهي رد فعل للهجوم الذي كان موجهاً إلى الإنجيل بقصد التشكيك في صحته لزعة الإيمان به .

فالأصولية في الإسلام ليست حركة كما كان الحال في المجتمع المسيحي الأمريكي في عام ١٩١٨م ، وإنما هي وصف لكل مسلم يتمسك بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، سواء كان ملتزماً بظاهر النص ، أم كان مؤولاً له كي يتلاءم مع ظروف العصر ومتطلباته .

الإرهاب

وبعد أن هدأت موجة الأصولية ، طرحوا أمامنا على الساحة الفكرية مصطلح : " الإرهاب " الذي هو ترجمة لكلمة : " terrorism " متهمين المسلمين بأنهم إرهابيون . فانبأى الخطاب الفكري في بلادنا يدافع في مقالات ، وتحليلات ، وكتب ، مبيناً أن الإسلام ليس دين إرهاب ، وإنما يدعو إلى السلام والأمن ، دون أن يوضح المفكرون أولاً أن ترجمة كلمة : " terrorism " بالإرهاب خطأ ، وربما يؤدي ذلك إلى عكس المطلوب ، حيث توجد مادة هذه الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) [الأنفال : ٦٠] ، فإذا وجّه الخطاب الفكري إلى نفى الإرهاب عن الإسلام ، فلن يقتنع غير المسلمين من الأوربيين بذلك ، وخاصة أولئك المهتمين بالبحث العلمي - وعلى وجه الأخص : المهتمين بالدراسات الإسلامية - لأنهم سيجدون هذه الكلمة في القرآن الكريم . وكان أول واجب يقوم به المفكرون المسلمون هو تصحيح ترجمة كلمة : " terrorism " إلى العربية ، وبيان أنها ليست إرهاباً ، وإنما الترجمة الصحيحة هي : " الرعب " ، والإرهابي هو : " المرعب " ، أى الذى يثير الرعب في نفوس المواطنين . أما كلمة إرهاب في القرآن الكريم فهي تعنى : " الردع " ، أى تخويف الآخر من العواقب الوخيمة إذا هو أقدم على الاعتداء ، وهو مصطلح مقبول دولياً ؛ إذ شاع في

الخطاب الدولي كلمة : " الردع النووي " ، أى أن امتلاك القوى العظمى للسلاح النووي كان وسيلة لمنع وقوع حرب عالمية ثالثة .

انشغل المسامون فكرياً بنفى تهمة الإرهاب عنهم ، حتى بدا للمراقب لحركة المساجلة الفكرية بين الغرب والعالم الإسلامى ، أن الإرهاب منحصر فى المسلمين ، وأنهم - أى المسلمين - هم الذين يشيعون الرعب فى أركان الكرة الأرضية ، مع أن الحقيقة أن هذا التيار ليس خاصاً بالمسلمين ، بل هو منتشر فى كل أرجاء العمورة ، وبين كل الأعراق والأجناس ، وأصحاب الأديان والعقائد المختلفة ، فهو موجود فى جميع قارات الكرة الأرضية ، وفى أوروبا بالذات ، حيث ظهرت جماعة " بادر ماينهوف " فى ألمانيا ، و " الألويزة الحمراء " فى إيطاليا ، و " الجيش الأحمر " فى أيرلاندا ، هذا فضلاً عن ظهور مثل هذه الجماعات فى أمريكا اللاتينية (فى كولومبيا ، ونيكاراجوا ، وغيرهما) ، وفى آسيا (فى الهند ، وسيريلانكا ، واليابان ، ونيبال ، وغيرها) وهذه الجماعات من غير المسلمين !!! فلماذا تُلصق تهمة الإرهاب بالمسلمين ؟؟؟ بل إن الجماعات الإسلامية - بصرف النظر عن موقف الإسلام والمسلمين من عملياتها ضد المدنيين - تناضل من أجل هدف مشروع ، ألا وهو تحرير أرضهم من المستعمر ، وتخليص بلادهم من سيطرة الغاصبين ، أما الجماعات الأخرى فى أوروبا وغيرها ، فليس لها هدف واضح مشروع ، اللهم إلا إشاعة الرعب والنهب والسلب لدى كثير منها ، ومحاولة فرض مذهب أو عقيدة معينة على الآخرين ، حتى ولو كانوا إخوانهم فى العقيدة ، كما هو الحال فى المعركة التى دارت سنين طويلة بين البروتستانت وبين الكاثوليك فى أيرلاندا .

وبناءً عليه ينبغى على المسلمين أن يركزوا على هذا الجانب عند حوارهم مع الآخر فى الندوات والمؤتمرات التى تعقد لهذا الغرض ، لتصحيح التصور المغلوط عند هؤلاء الناس عن الإرهاب ومصدره . وهذا هو الأساس الذى ينبغى أن يُبنى عليه الحوار معهم ، وهو المنطلق الذى يجمعنا للبحث عن أسباب ما يسمونه الإرهاب الإسلامى ، ومحاولة إزالتها حتى نقضى عليه ، وإلا فلن تكون اللقاءات والحوارات سوى شقشقات لفظية ، وجل لغوية لا مفهوم لها ، وجمعية لا طائل من ورائها ، اللهم إذا كان غرضهم - وهذا ماتؤكد الأحداث - تبديد طاقات المسلمين فى هذا الحوار الفارغ ، حتى لا يكون لدى المسلمين من الوقت ما يبذلونه فى حل قضاياهم الداخلية ، واسترداد ما سلبه الآخرون منهم ، وبذلك يظلون يدورون فى إطار هذه الأحداث الذى رسمه هؤلاء ، فيتخلفون عن ركب الحضارة الحديثة .

وهناك الكثير من المصطلحات التي يرددها الغرب عن الإسلام ، سواء كان ذلك عن جهل بتعاليم الإسلام ، أو سوء نية وقصد ، ولذا يجب على المسلمين أن يصححوا للغرب هذه المفاهيم بكل الوسائل ، ومن أهم هذه الوسائل :

الحوار

فالحوار في حد ذاته مطلب حيوى ، وضرورة قصوى ، لتصحيح هذه المفاهيم التي يتهم الغرب الإسلام - والمسلمين - بها، من قبيل : أنه الدين الذى يدعو إلى القتل والاختيال تحت شعار " الجهاد " ، وأنه الدين الذى يرفض معتقوه التعايش مع " الآخر " ، فالمسلم فى ساحة التعامل مع الآخر إما قاتل أو مقتول ، وأن المسلمين - وخاصة العرب - شعوب متخلفة ، لا يدركون للتقدم معنى ، ولا يعرفون أسس الحضارة فى السلوك والقيم ؛ لأنهم مرتبطون بالإسلام ، ذلك الدين القائم على الحمجية فى التفكير والسلوك ، ومعاداة التقدم العلمى فى أى مجال ، فهو دين الجمود والارتباط بالماضى ، والاستهانة بالحاضر ، وتجاهل المستقبل .

كل هذا يحتاج من المسلمين إلى بذل الجهد لتصحيح هذه المفاهيم ، ولعرض التعاليم الإسلامية الصحيحة فى ثوبها الأبيض الناصع ، بعيداً عن تشنجات المتشددىن ، وشطحات المتطرفىن ، وسلوكيات الجاهلىن . ولكن قبل أن نخوض فيما يجب أن يكون عليه الحوار مع " الآخر " ، ورسم موضوعاته ، ونوضح أهدافه ، يجب أن نركز أولاً على الحوار مع " النفس " ، ونقصد به الحوار مع رموز التيارات والمذاهب الإسلامية داخل المجتمعات الإسلامية ، حتى يمكننا أن نرتب البيت من الداخل قبل الحديث مع " الآخر " ، ذلك أننا نواجه دائماً فى لقاءات عديدة بسؤال يكاد يكون بألفاظ واحدة ، ألا وهو : عن أى إسلام تحدثون ؟ عن الإسلام الشيعى أم السنى ؟ عن التيار السلفى ، أم عن تيار المجددىن ؟ عن مفهوم طالبان أم عن تصور تنظيم القاعدة ، وجهة الإنفاذ الجزائرى وجماعة التكفير والهجرة وأمثالها ؟ عن المتمسكىن بظاهر النصوص المنكفئىن على الماضى ، أم عن " العقلانىن " المتهمىن من السلفىين بالزندقة ؛ لأنهم يحاولون التوفىق بين النصوص المقدسة ومعطيات العصر ، ومتطلبات الحضارة الحديثة ؟

ومما لاشك فىه أن تصحيح هذه المفاهيم الذى علققت بذهن " الآخر " نتيجة التمزق والتفرق فى ساحة الفكر الإسلامى ، يأخذ وقتاً طويلاً ، وجهداً خارقاً ، الأمر الذى يحتم علينا أن نتحاور مع بعضنا أولاً ، كى نرسم خريطة الحوار مع " الآخر " ، حتى ولولم نصل من هذا إلا إلى تحديد أهداف الحوار

مع " الآخر ". فتحسين الصورة الإسلامية بقدر الإمكان على الساحة الدولية أمر مهم ، خاصة وأنا نملك الأسس التي يمكن أن نتفق عليها ، ألا وهي : القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، إذ يمكننا أن نختار الآيات التي ترسم لنا الأسلوب والمنهج الذي نتفق عليه ، مسترشدين بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٦]

منهج الحوار مع النفس

بين السنة والشيعية

تحم الأحداث الدولية على المسلمين أن يتحدوا ، ويقفوا صفاً واحداً ، السنن بجانب الشيعي ، ناسين خلافاتهم ، متجاوزين تباين آرائهم في بعض المسائل التي لا تمس الاعتراف بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، وبالقرآن الكريم - وحى الله - دستوراً ، فالاختلاف في التفسير والتأويل وقبول بعض الأحاديث ورفض البعض الآخر يمكن التجاوز عنه ، وهو لا يفسد للود قضية ، في هذه الظروف ، خاصة وأن الصراع الدولي يوجب عليهم الوقوف صفاً واحداً ، وإلا أكلوا واحداً بعد الآخر ، ويومئذ ينطبق عليهم المثل الشعبي القائل : " أَكَلْتُ يَوْمَ أَنْ أَكَلَّ النَّوْرَ الْأَبْيَضَ " .

ينبغي أن ندرس التاريخ دراسة جيدة ، فنتعلم وندرك أن من الأسباب الرئيسية لضياح الأندلس ، هو اختلاف المسلمين وتناحرهم ، وتحالف بعضهم مع العدو ضد إخوانهم المسلمين ، مما فتت قواهم ، فأصبحوا لقمة سائغة ، التهمها العدو ، الواحد تلو الآخر ، حتى استؤصلت شأفتهم من الأندلس . لانريد أن تتكرر هذه المأساة ، ولا يجب أحد من السلمين أن يرى هذا المشهد مرة أخرى ، ولذلك يجب أن يتحاور السنن مع الشيعة ، ليصلوا إلى تكوين جبهة صلبة ، تتمكن من مقاومة هذا الزحف الجارف على ديار الإسلام ، الذي لن يبقى - لا قدر الله - على سنن ، ولا على شيعي ، فلنبداً الحوار السنن الشيعي اليوم قبل غسد ، على أن تشتمل أجدثته على النقاط التالية :

١. إحياء لجنة التقارب بين المذاهب التي دعا إليها في منتصف القرن العشرين : الشيخ محمود شلتوت ، وآية الله القمي ، بحيث يكون نشاطها :

- إبرازَ مسائل الاتفاق في الفقه والتفسير والحديث ، في صورة كتب وأبحاث تُنشر بين أنصار الطائفتين لخلق وعي عام بضرورة الوقوف جبهة واحدة أمام الأخطار الخارجية .

- داعياً إلى نسيان الماضي بما فيه من أحقاد وكرامية بين التيارين .

- مركزاً على وجوب التعاون والوحدة بين الفريقين ، كى يستطيعوا مواجهة الهجمات الشرسة التى يتعرضون لها من مختلف القوى العالمية .

٢. عقد اتفاقات ثقافية بين الجامعات الإسلامية في المجتمعات الشيعية ونظيراتها في المجتمعات السنية ، لتبادل المنح الطلابية ، حتى يتخرج جيل يعرف كل ما عند الآخر من تفسيرات وتأويلات للنصوص الدينية ، وكذلك لتبادل زيارات الأساتذة والباحثين لخلق جو علمى أكاديمى بين الفريقين ، بعيداً عن المزايدات المذهبية ، والانفعالات الوجدانية .

٣. عقد ندوات ومؤتمرات للحوار بين الجانبين ، يركز فيها على التواصل والتعاون ، ويعلن فيها أن كلاً يعترف بالآخر ، ويحترم رأيه ، حتى يكون دافعاً لأصحاب القرار على اتخاذ ما يلزم للتقارب والتعاون على المستويات : الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، كى يظهر المسلمون أمام العالم بأنهم جبهة واحدة ، وأنهم يتعاملون مع بعضهم بأسلوب حضارى ، دعا إليه الإسلام ، وإن اختلفت وجهات نظرهم في تفسير وتأويل النصوص المقدسة . ومما لاشك فيه أنه ، إن حدث هذا ، ستكون له آثار بعيدة المدى في مجال الحوار الدينى مع غير المسلمين على المستوى الإقليمى والدولى .

٤. تدريس المذاهب الإسلامية - الفقهية ، والكلامية ، والفلسفية وغيرها - بشعبتها - السنى والشيعى - في كل الجامعات الإسلامية .

حوار بين التيارات والجماعات الإسلامية

ويتضمن :

لقاءات بين رموز هذه التيارات والجماعات ، تحت إشراف الأزهر - بصفته الجامعة التي تعبر عن جميع المذاهب الإسلامية ، لأنها تُدرّسها دون تفرقة بينها - للنظر فيما يجب عمله في نشر الدعوة ، بحيث يركز على :

- نبذ الخلافات ، والعنف ، والتطرف .
 - رسم منهج عام يلتزم الجميع به لخدمة الإسلام في الداخل والخارج .
 - الاتفاق على الخطوط العريضة التالية :
- أ. احترام الآراء المخالفة .
- ب. عدم تكفير الآخر ، إلا إذا أنكر نصاً من نصوص القرآن الكريم ، أو ما علم من الدين بالضرورة . ولا يحكم بهذا التكفير إلا الجهات الدينية الرسمية ، بعد البحث والتدقيق ، ويكون الرأى في ذلك ياجماع الآراء ، عملاً بقول رسول الله ﷺ : " إدرؤوا الحدود بالشبهات " ²⁰⁹ ، فمعارضة رأى واحد من العلماء يعتبر شبهة ، مع العلم بأن جواز إقامة حد الردة مختلف فيه بين العلماء .
- ج. توحيد الآراء في المسائل العامة ، والقضايا الدولية ، ويكون اتفاق الأغلبية على الفتاوى مُلزمًا للجميع ، يلتزمون به في فتاواهم للعامة ، وتصريحاً لهم لوسائل الإعلام . أما في قاعات البحث ومدرجات التدريس فيجوز عرض جميع الآراء للطلبة ، وإن خالفت مآرائه الأغلبية للإفتاء به ، لأن التعليم والتعلم ينبغي أن يتناول كل الآراء على الساحة الفكرية .
- د. احترام الرموز والمؤسسات الإسلامية رغم اختلاف الرأى معهم .

²⁰⁹ (نصب الراية : الحافظ الزيلعي / تخريج أحاديث الهداية ٢٢٣/٣ - تلخيص الخبير ٥٦/١ رقم ١٧٥٥ ، ونسبه إلى الترمذى ، والحاكم ،

والبيهقى من طريق الزهري

الحوار مع العلمانيين

تدور معارك في كثير من الأقطار الإسلامية بين العلمانيين وبين رموز الفكر الإسلامي حول الأخذ بمبدأ الديمقراطية الغربية ، إذ يرى العلمانيون أن هذا النظام هو النموذج المثالي لحكم الشعوب في العصر الحديث ، ذلك أنه يتيح لكل فرد فرصة اختيار نوابه عن طريق تعدد الاتجاهات ، وتنوع البرامج الحزبية ، فهو مخير بين عدة خيارات ، يختار منها ما يلائم حياته ، وما يحقق مصلحته ، وما يتفق مع نظرتة للحياة ، وموقفه من الوجود كله ، فإذا ما فاز اتجاه برأى الأغلبية ، فعلى الجميع أن يسلموا بأحقية في تسيير دفعة الحكم ، مع إعطاء الاتجاه المعارض حق مناقشة القوانين واللوائح التي يتقدم الحاكمون بها إلى المجلس المنتخب لإقرارها كأساس لتطبيق النظام في المجتمع ، وبهذا لا ينفرد شخص بتقرير مصير أمة ، ولا يكون لمجموعة ، أو هيئة ، أو حزب حق الاستيلاء على السلطة ، بدون تفويض من الشعب ، كما لا يجوز للسلطة التنفيذية اتخاذ أى إجراء يتعلق بمصالح الناس ، إلا إذا أجازته من اختارهم الشعب ليمثلوه في توجيه أمور الدولة .

فالتوازن بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية يحفظ نظام الدولة من التدهور والانهيار ، والاعتراف بحق نواب الشعب في مساءلة رجال الإدارة والحكم فيما يمارسونه ، بحكم وضعهم الوظيفي ، يحمي المواطنين من قسوة الحكام وظلمهم ، ويحافظ على مصالحهم ، ويؤمن حياتهم ، ويرسي قواعد الاستقرار في الأمة .

بينما يرى بعض رجال الدين أن هذا من النظم التي أقرتها العلمانية ، وما دامت العلمانية لا تعترف بوجود الدين - كما هو الحال في العلمانية المتطرفة - أو لا ترى بأساً من وجوده - كما هو الحال في العلمانية المعتدلة - ، غاية الأمر أنه ينحصر في ظلها في مجال العبادات ، فليس له سلطان على التشريعات واللوائح التي تضبط مسيرة الحياة ، وإنما مركز التشريع ومصدره ، هو البرلمان المنتخب من الشعب ولا مصدر غيره ، فلا يجوز لشعب مسلم أن يقر هذا النظام كنموذج له في الحكم ، لأن المشرع هو الله ، وليس البرلمان . ثم يتطرق المتطرفون من رجال الدين إلى مظاهر هذا النظام المتعددة فيحرمونها كلها ، إذ يرون أن نظام الأحزاب ليس إسلامياً لأنه يفرق الأمة شيعاً وأحزاباً ، ولذلك فهو غير جائز ، كما أن تسمية البرلمان بالهيئة التشريعية حرام ، لأن المشرع هو الله .

ربط العلمانيون - على أساس علمي تاريخي - هذا الموقف بما كان عليه الحال في أوربا إبان العصور الوسطى ؛ إذ تصوروا وضع السلطة البابوية آنذاك ، يوم أن كان البابا والمطارنة والقسيس يُحلُّون ما يشاءون ، ويحرِّمون ما يشاءون ، ويُدخِلون الجنة مَنْ يريدون ، ويقذفون في النار من يكرهون ، وتراءت

في أذهانهم صور صكوك الغفران والحرمان ، حيث قاسى منها الحكام والأمراء الكثير من المتاعب والآلام ، بل إن الشعوب نفسها اكتوت بناها ، وذاقت جحيم أوارها وسعيرها ، فتصوروا - أى العلمانيون - أن تطبيق الشريعة الإسلامية في مجال الحكم والإدارة سيخلق مثل هذا الوضع في المجتمع الإسلامي ، حيث يتحكم رجال الدين في كل شيء دون أن يكون لأحد حق الاعتراض أو المناقشة ، لأنهم محصنون بسياس قدسي ، لا يجزؤ أحد على تخطيه ، اللهم إلا من خلع رداء الإيمان .

فأى مسلم يستطيع أن يضع نفسه في هذا الموقف ؟ لا أحد .

وتكون النتيجة القضاء على كل صوت معارض ، فترعرع الديكتاتورية الدينية ، وتضيع حقوق الناس بين فكيها ، وتهدر كرامة الإنسان تحت أقدامها ، كما حدث في القرون الوسطى ، حيث كانت الكنيسة تبسط سلطاتها على جميع مجالات الحياة .

إن هذه الصورة لا وجود لها في الإسلام على الإطلاق ؛ إذ لا يُعرّف في تعاليمه هذا المصطلح المسيحي : رجل دين ، وغير رجل دين ، لأن الكل في ظل الإسلام مسلمون ، لافرق في الحقوق والواجبات بين رجل وآخر ، وليس في الإسلام عصمة لأحد من الخطأ ، كما هو الحال في المسيحية بالنسبة للبابا ، فكل مسلم خطاء ، وما دام الأمر كذلك فلكل أحد الحق في المعارضة ، لأنه لا يوجد رأى لا يجوز معارضته ، وبهذا تنتفى شبهة العلمانيين في إمكان قيام ديكتاتورية دينية ، إذ مادام الإسلام قد أعطى كل مسلم الحق في المعارضة ، فلن تقوم في ظله ديكتاتورية .

أما بالنسبة لما يراه بعض رجال الدين من تحريم النظام البرلماني ، لأنه يدعى لنفسه حق التشريع ، بينما المشرع هو الله ، فلا ينبغي أن يفهم وضع البرلمان على هذا النحو ، ذلك أن تعاليم الإسلام ومبادئه العامة . لايجوز المساس بما ، فهي بمثابة الدستور الذي لايجوز للبرلمان أن يوافق على تشريع قانون يتعارض مع مبادئه . فالتشريع يدور في أمور فرعية تندرج تحت ظل مبادئ الدستور العامة ، فإذا أردنا أن نبين طبيعة عمل البرلمان في ظل تطبيق الشريعة الإسلامية ، فإننا نرى أنها لا تخرج عن إقرار تفسير لنصوص القرآن الكريم دون آخر ، وما أكثر آراء العلماء في التفسير والتأويل ، فنصوص القرآن الكريم لا يجوز الخروج عليها صراحة ، كما هو الوضع بالنسبة لعدم الخروج عن الدستور ، وإنما يجوز لأعضاء البرلمان إقرار قانون يتفق مع رأى عالم ، ورفض رأى عالم آخر ، وبهذا يكون دور البرلمان هو الاختيار والانتقاء من آراء العلماء بما يناسب طبيعة الحياة وظروف العصر .

يجب أن يتحاور رجال الدين مع العلمانيين ، كى يزيلوا ماعلق فى أذهانهم من تصورات غير صحيحة عن علاقة الإسلام بمعطيات العصر ، كما وضح من العرض السابق ، وحتى لا يقتنع الشباب بآرائهم ، فيعتقدون أن بين الإسلام وبين الحضارة الحديثة خصومة لا يمكن تجنبها ، أو أن مبادئ الإسلام لا تساير العصر . وينبغى أن يقوم حوار أيضاً فى هذا الصدد مع من يسمون أنفسهم - أو يسميهم غيرهم - بـ "الإسلاميون الثوريون" أو بـ "الإسلام اليسارى" ، لأن فى بعض تصوراتهم جنحاً عن المبادئ العامة للإسلام ؛ فهم يفسرون بعض آيات القرآن الكريم بما يبعدها عن روح الإسلام وتعليمه ، وعمما استقر عليه المسلمون من أحكام لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، ويترلون إسقاطات على بعض الأحداث فى صدر الإسلام بما يشوه تاريخ الرموز الإسلامية ، ولذا وجب الحوار معهم حتى لا يتصيد أعداء الإسلام من آرائهم ما يخدم دعوتهم لمناهضة الإسلام .

الحوار مع الآخر

الحوار مع الآخر ظاهرة إنسانية ، فهو ملازم للفكر والثقافة ، أياً كان نوع هذه الثقافة ودرجة رقيها ، فهو وسيلة اتصال الإنسان مع أخيه الإنسان منذ الحياة البدائية حتى عصر ما بعد الحداثة ، فحيثما اجتمع اثنان فى مكان ما ، إلا وكان الحديث بينهما أول خيط يربطهما ، حاملاً تبادل المعلومات والأخبار ، أو موجهاً الاتهامات والتهديدات إن كان اللقاء لتصفية الحسابات أو لغرض سيطرة أحدهما على الآخر وسلب مامعه من أملاك ومتاع . كذلك الحال حينما ارتقى الإنسان ، وظهرت التيارات الفكرية المختلفة ، والمذاهب العقدية المتباينة ، كان الحوار أحد أهم أسباب النزاع الفكرى ، ورغبة كل فى غلبة فكره وعقيدته على الآخر ، إذ يحرص كل صاحب فكر أن ينشره بين الناس ، فيلتقى بهم ويشرح لهم أفكاره ، ويحاول إقناعهم بما لديه من مسلمات ، وهم بالتالى - إذا كان لديهم فكر مختلف - يجاورونه ، الحججة بالحجة ، والرأى بالرأى .

ولم تخرج رسالات الأنبياء عن هذه الظاهرة ، فلقد حاور الأنبياء والرسل أقوامهم ، حين عرضوا عليهم رسالاتهم ، وشرحوا لهم مبادئها ، طالبين منهم الإيمان بما محذرين من عاقبة عنادهم وكفرهم ، وقد سجل القرآن الكريم أساليب عدة من هذه الحوارات التى دارت بين الرسل وأقوامهم ، فعلى سبيل المثال نقرأ قوله تعالى عن حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه :

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَيُّهَا قَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِلُ الَّتِي
 أَشْرَكْتُمْ بِهَا عِبَادَتَكُمْ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا نَافِلَةً عَلَيْهَا وَعَايِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْرَكًا بِمَا لَا تُدْرِكُونَ فِي صُلَالٍ مِينٍ *
 قَالُوا أَحْسِنَّا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ * قَالَ بَلْ مَرَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى
 ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥١ - ٥٦]

وحوار نوح مع قومه :

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِتَى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ إِلَّا تَبْعًا إِلَّا الَّذِينَ هُمْ
 أَرَادُوا لَنَا بِأَدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ إلى قوله تعالى :
 وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [هود : ٢٥ - ٣٥]

وغير ذلك من الآيات المتعددة التي تبين المواقف المختلفة التي حاور فيها الرسل والأنبياء أقوامهم
 حول القضايا العقدية ، والمبادئ التربوية ، والمشكلات الاجتماعية التي جاء فيها وحى الله بتعاليم ومبادئ
 إلهية داعية البشر إلى اعتناقها واتباعها في جميع مجالات حياتهم ، لتستقيم حياتهم ، ولينالوا رضا الله وعفوه ،
 فيشبههم على إيمانهم وعملهم .

أهمية الحوار مع الآخر في الإسلام

لم يرد وجوب الحوار مع الآخر في أي دين من الأديان كما ورد في الإسلام ، وكذلك لم يهتم أي
 مذهب من المذاهب الفكرية بالحوار مع الآخر اهتمام الإسلام به ؛ فقد أمر الله رسوله ﷺ بالحوار مع أهل
 الكتاب ، مما جعل الحوار الديني مبدأ أساسيا في منهج الدعوة إلى الإسلام ، يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا نَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ . . . ﴿ [آل عمران : ٦٤]

وبهذا كان الحوار مع الآخر فريضة من فرائض الإسلام ، التزم به النبي ﷺ ، فأجرى حوارات مع الوفود التي وفدت عليه في المدينة ، والتي بلغت أكثر من ثلاثين وفداً في عام واحد . سمي عام الوفود ، وكان من أشهر تلك الوفود ، وقد نصارى نجران ، الذي قدم المدينة بقيادة أسقفهم أبي الحارث ، فتحاور معهم النبي ﷺ . ومما يدل على سماحة الإسلام وتعامله مع الآخر بأسلوب حضارى في ذلك العصر - الذى لم يعرف المتخاصمون فيه إلا السيف لغةً للحوار - أنه ﷺ سمح لأعضاء الوفد أن يقيموا صلاتهم في أحد أركان مسجده ﷺ ، وتلك لفتة لم يُعرف مثلها في تلك العصور ، ونادراً - بل يكاد يكون من المستحيل - أن يحدث مثلها في هذا العصر - في القرن الواحد والعشرين - الذى يفخر أبناؤه بأنهم قطعوا شأواً كبيراً في الحضارة ، مما جعلهم يتعاملون مع الآخر بأسلوب معذب وراق .
ومن المبادئ الإسلامية التي تدعو المسلم إلى التعايش مع الآخر والحوار معه واحترام رأيه :

الحرية ، فقد قدسها الإسلام ، ودعا إلى كفالها ، ولو أدى ذلك إلى عدم الاعتراف به ديناً يقول

الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ ﴾ . [البقرة : ٢٥٦]

ويقول : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ . [الكهف : ٢٦٩]

ويقول : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا جَمِيعًا أَفَأَنْتُمْ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا

مُؤْمِنِينَ ﴾ . [يونس : ٦٩]

فإنه يبين لرسوله ﷺ في هذه الآيات أن الإيمان متروك لحرية الإنسان ، فلا ينبغي أن يمارس أحد الإكراه لحمل الناس عليه ، لأنه لو شاء الله لأكرههم على الإيمان ، ولكنه تركهم بحريتهم ليكون الإيمان نابعاً من ذات الشخص نفسه حتى يثمر إيمانه ، لأن العمل لا يكون نافعاً إلا إذا فعله الإنسان : وهو في كامل حريته .

ولهذا نظر الإسلام إلى المجتمع نظرة شمولية ، فهو لا يفرق بين الناس على أساس معتقداتهم ، بحيث يسلبهم حريتهم بسبب هذه المعتقدات ، بل يكفل لهم أسس العيش في سلام واطمئنان داخل المجتمع الإنساني ، وأعطاهم حرية كاملة في ممارسة بناء المجتمع ، فلا زال قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً " ناقوساً يرن في آذان كل المجتمعات البشرية ، معلناً أن المسلمين طبقوا قواعد الحرية كما أمرهم الإسلام ، واستنكروا كل ما من شأنه أن يسلبها من المجتمع ، لأنها أساس كيان الإنسانية ، ودعامة استقرار المجتمع على قواعد ثابتة ، لا تتزعزع أمام عواصف الدهر وتقلبات الأيام . ومما يدل على سماحة الإسلام مع الآخر ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم عقد مع نصارى نجران عهداً مع بقائهم في أماكنهم ، وإقامتهم في ديارهم ، دون أن يكون معهم أحد من المسلمين ، وقد تضمن هذا العهد حمايتهم ، والحفاظ على حرياتهم الشخصية والدينية ، وإقامة العدل بينهم ، والانتصاف من الظالم . وقام الخلفاء من بعده على تنفيذه حتى عهد هارون الرشيد ، فأراد أن ينقضه ، فمنعه محمد بن الحسن ، صاحب الإمام أبي حنيفة . وفي هذا دلالة واضحة على روح التسامح في معاملة غير المسلمين ، إذ حافظ على حرياتهم في العبادة ، وفي إقامة شعائرهم الدينية من غير تضييق عليهم ، ولا تعكير صفو الجو الروحي لطقوسهم الدينية ، لأنه احترامها ، واتخذ من الإجراءات ما يحمي قداستها .

– **تقبله للثقافات والحضارات الأخرى** ، مما يدل على أن فكرة الصراع الحضارى لا وجود لها

في مبادئه وتعاليمه ، ويوضح نظرتة العالمية الواسعة إلى الأديان والأجناس الأخرى ، ولهذا أقام حضارة كبرى أسهم فيها أهل هذه الأجناس والأديان في كل ناحية من نواحي الحياة ، في الفكر ، والفلسفة ، والأدب ، والفن ، والطب ، واللغة ، والتصرف ، وكانت تلك الحضارة تأليفاً وتوحيداً لكل الحضارات قبلها في : الصين ، والهند ، وفارس ، والروم ، واليونان .

شيد المسلمون على كل هذه الأسس بناءً حضارياً ضخماً ، اشترك فيه العلماء من جميع الأجناس والأديان ، فكانت بحق حضارة لجميع أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، ثم انتقل هذا التراث الحضارى إلى الأجيال اللاحقة ، فكان مصدراً للحضارة الحديثة ، وقد عبر أحد العلماء عن دور المسلمين في بناء الحضارة الإنسانية بقوله : " إن المسلمين لم يحرصوا فقط على أن يكونوا ورثة الأنبياء ، بل ورثة الفلاسفة كذلك . "

فالإسلام دين يحث أتباعه على الاتصال بثقافة الآخر والأخذ منها اتباعاً ، لقول رسول الله ﷺ :
 " الكلمة (الحكمة) ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بما " ، فهو لم يغرس في نفوس المسلمين حقداً
 ضد أى طائفة أخرى من البشر تعتنق ديناً آخر ، ولم يحرم عليهم التزود بأى نوع من الثقافات الإنسانية ،
 ولم يفرض عليهم شيئاً يعزلهم عن غيرهم من أجناس لبشرية ، ولم يأمرهم بإجبار أحد على اعتناق الإسلام ،
 فكان بذلك ساحة ضمت جميع الناس ، وبوتقة صهرت جميع الثقافات ، ووادياً أمن فيه الناس على أنفسهم ،
 وعقائدهم ، وأفكارهم ، واطمأنوا على سلامة أمواتهم وممتلكاتهم ، فنظروا إليه غير حائفين ، وفكروا في
 مبادئه غير وجلين ، ودرسوا أحكامه في جو من الحرية والديمقراطية ، فجاء اعتناق من اتخذ ديناً عن رغبة
 وافتتاح ، وعاش في ظل دولته من بقى على دينه آناً مطمئناً ، يسعى إلى رزقه ، ويشارك في مجالات الدولة
 المختلفة تحت راية الإسلام التي تترف معلنه أنما مظلة الإنسان ، من حيث هو إنسان ، لأنه عبد الله الذى
 أنزل هذا الدين على محمد ﷺ .

اتباع المسلمون هدى رسول الله ﷺ في هذا المجال فحاوروا أهل الأديان بالتي هي أحسن ، وتعايشوا
 معهم على أساس الأخوة الإنسانية ، فلم يجبروهم على اعتناق الإسلام ، ولم يضطهدوهم مجرد أنهم يخالفونهم
 في العقيدة ، بل رفعوا عنهم ظلم إخوانهم في العقيدة واضطهادهم لهم ، فقد حدث أن عمرو بن العاص حين
 فتح مصر : كان البطريرك المسيحي بنيامين مختفياً ، لأن وطأة استبداد البيزنطيين المسيحيين في البلاد كانت
 عنيفة ، وطبقاً لنص تاريخ البطاركة لما عرف عمرو بذلك كتب إلى أعمال مصر كتاباً يقول فيه : الموضوع
 الذى فيه بنيامين بطرك النصارى القبط له العهد والأمان والسلامة من الله . فليحضر آناً مطمئناً ويدبر حال
 بيعته وسياسة طائفته . فلما سمع بنيامين هذا عاد إلى الاسكندرية بفرح عظيم بعد غيبة ثلاثة عشرة سنة .
 منها عشر سنين لحرقل الرومى ، وثلاث سنين قبل أن يفتح المسلمون الاسكندرية .²¹⁰ ثم التقى عمرو
 بنيامين " فلما رآه (عمرو) أكرمه . وقال لأصحابه : إن في جميع الكور التي ملكناها إلى الآن ما رأيت
 رجلاً يشبه هذا . وكان الأب بنيامين حسن المنظر جداً ، جيد الكلام بسكون ووقار . ثم التفت عمرو إليه
 وقال له : جميع بيعك ورجالك اضطهروا ودبروا حولهم " .²¹¹

²¹⁰ الترمذى ٥١/٥ رقم ٢٦٨٧ ، تهذيب ١٢١/١

²¹¹ رليم سليم : الحوار بين الأديان — ١٠٨ ، نقلا عن ساويرس ابن المقفع : تاريخ بطاركة الاسكندرية . طبعة الفس — الجزء الثانى .

²¹² المصدر السابق ص ١٠٦ . ويقول المؤرخ النبطى الأسقف يوحنا القيسوى : " احترم عمرو أملاك الكنيسة ، ولم يقترف عملاً يعاب
 عليه . فجا أهل البلاد عيد السلام الدينى ، وإعادة نشاط الكنيسة الوطنية ، وأديرة وادى النظرون ودير أنبا مقار ، وجاء الرهبان أفواجا
 يذكرون إخلاصهم للثاند العربى " حسين فوزى : سنياد مصرى ص ١٦٤ .

لقد أرسى الإسلام قاعدة صلبة في مجال التعامل مع الآخر ، باختياره أسلوب الحوار ، كى يوضح الفكر البشرى ويبين مدى صلته بالتراث الإلهى ، ولا يكون ذلك إلا باحترام الحرية في التعبير ، وسماع ماعند الآخر ، وعرض مبادئ وتعاليم الإسلام عليه دون إكراه ، بل بالفاهم والأدلة العقلية - وبالتعبير الإسلامى : " بالحكمة وبالمجادلة بالتي هي أحسن - ؛ إذ لا يمكن للشعوب أن تتقدم إلا بتبادل المعلومات ، ومناقشة القضايا : قضايا السلم والعدل ، وغيرهما من المشكلات التي يواجهها الإنسان في مسيرة بنائه الحضارى ، والتعاون فيما بين الشعوب على أساس احترام الآخر ، ومعرفة ماعنده من مبادئ وقيم .

ضرورة الحوار مع الآخر فى العصر الحديث

أصبح الحوار مع الآخر ضرورة فى عالم اليوم ؛ لأن المجتمعات المعاصرة ضمت العديد من الأفكار والعقائد والمذاهب الفكرية ، بل إن المجتمع الواحد المحدود ، قد يضم أكثر من عقيدة ، ويعتق أفراده أكثر من مذهب فى جميع المجالات : سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ... الخ ، ولذا كان الحوار فى حد ذاته مطلب حيوى وضرورة قصوى ، وعلى الأخص : حوار الأديان ، لأن الدين لازال يلعب دوراً كبيراً فى حياة الشعوب ، إذ يرسم للفرد أسلوب حياته ، ويحدد له طبيعة العلاقة مع الآخر ، وبالتالي فهو عنصر أساسى فى استقرار المجتمعات ، ورسم حدود العلاقات بين الشعوب ، حتى فى المجتمعات التى أعلنت أن العلمانية هى أسلوبها فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ فقد رأينا أن نزعة التعصب الدينى ، والتبشير بقيام صراع بين الحضارات على أساس ثقافى ودينى صدرت من مجتمع يعتبر نفسه زعيم العلمانية فى العصر الحاضر ، إذ أعلن صمويل هنتنجتون - وهو أمريكى نشأ على الثقافة العلمانية - فى كتابه " صدام الحضارات " أن الصراع فى العالم الجديد لن يكون أيديولوجياً ، أو اقتصادياً ، بل سيكون الانقسام الكبير بين البشر ، والمصدر الغالب للصراع ثقافياً ، ودينياً :

- مركزاً فى كثير من صفحات كتابه على أن الصدام بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية واقع لا محالة ، فهو - أى الإسلام - الخطر المائل أمام أعين الغرب " المتحضر " ، يبدو ذلك واضحاً

من قول أحد المراقبين حسب زعمه : " الكابوس الخاص للأوروبيين هو الذكرى التاريخية (إغارة المسلمين في أوروبا الغربية ، والأتراك على أبواب فيينا) " .²¹³

- ومبيناً لهم ما يحدث في تركيا ، حيث يقول : " بالنسبة لتركيا - كما هو لدول أخرى كثيرة - أثار انتهاء الحرب الباردة بالإضافة إلى الخلل الناتج عن النمو الاقتصادي والاجتماعي قضايا أساسية عن " الهوية القومية والانتماء العرقي " ، وكان الدين هناك يقدم الإجابة ، وأصبح الميراث العلماني الأتاتوركي والنخبة التركية لثلاثي قرن ، تحت النيران وبشكل متزايد . تجربة الأتراك في الخارج أدت إلى إثارة عواطف الإسلاميين في الداخل . الأتراك العائدون من ألمانيا الغربية " كان رد فعلهم على العداء هنا هو العودة إلى ما هو مألوف ، وأن ذلك هو الإسلام " .²¹⁴

بل إنه يؤكد في مواضع عدة من الكتاب على أن الصراع بين الحضارتين : الإسلامية والغربية ، مستمر : هناك خصومة بين القيم العلمانية والقيم الإسلامية ، وهناك خصومة تاريخية بين الإسلام والمسيحية ، وهناك شعور بالغيرة من 'لقوة الغربية ، وهناك استياء من السيطرة الغربية الناجمة عن بنية الشرق الأوسط السياسية بعد زوال الاستعمار ، وعندهم - أي المسلمين - شعور بالمرارة والامتهان نتيجة المقارنة البغيضة بين إنجاز الحضارتين : الإسلامية والغربية في القرنين الأخيرين " طالما أن الإسلام يظل (وسيظل) كما هو : والغرب يظل (وهذا غير مؤكد) كما هو الغرب ، فإن الصراع الأساسي بين الحضارتين الكبيرتين وأساليب كل منهما في الحياة سوف يستمر في تحديد علاقتهما في المستقبل ، كما حددتها على مدى الأربعة عشر قرناً السابقة إن حرباً مجتمعية باردة مع الإسلام سوف تساعد على تقوية الهوية الأوروبية بشكل عام ، في وقت حاسم بالنسبة للوحدة الأوروبية . ومن هنا قد يكون هناك مجتمع في الغرب مستعد ، ليس لدعم حرب مجتمعية باردة فقط مع الإسلام ، بل ولتبنى سياسات تشجع عليها . في سنة ١٩٩٠م قام " برنارد لويس " ، وهو مفكر غربي بارز مهتم بالإسلام ، بتحليل " جذور الغضب الإسلامي " واستنتج قوله : " يجب أن يكون واضحاً الآن أننا نواجه حالة وحركة تتخطى بكثير مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تتابعها ، وهذا ليس أقل من صدام حضارات والذي ربما كان غير منطقي ، ولكننا بالتأكيد رد فعل تاريخي لتنافس قديم ضد تراثنا اليهودي المسيحي وحاضرنا العلماني ، وانتشار كل

²¹³ صدام الحضارات ص ٢٣٨

²¹⁴ المصدر السابق ص ٢٤٠

منهما على مستوى العالم ، ومن المهم جداً أننا من جانبنا لا يجب أن نستثار إلى رد فعل تاريخي ولا منطقي معادل ضد ذلك المنافس "١٥".

كان من الطبيعي بعد ظهور هذه الفكرة ، صراع الحضارات على الساحة الثقافية العالمية أن يتصدى المفكرون من المسلمين لهذا الطرح غير السليم - منطقياً ، وفكرياً ، وتاريخياً - ، موضحين أن تعاليم الإسلام تدعو إلى الحوار لا إلى الصدام ، ويبدو ذلك واضحاً من آيات القرآن الكريم ومن أحداث التاريخ الإسلامي، كما ذكرنا ذلك سابقاً ، فالإسلام يبحث المسلم على الاعتراف بالآخر والحوار معه ، لكي يعيش الإنسان آمناً على دينه ، مطمئناً على حياته ، واثقاً من صدق المشاعر بينه وبين أخيه الإنسان ، وإن اختلف معه في الدين والعقيدة ، وبهذا احتل الحديث عن هذا الحوار وضرورة التعاون على المستوى الإقليمي والدولي مساحة كبيرة في دوائر الفكر الإسلامي ، بكل أنواعه : من الكلمة المكتوبة إلى الصوت المسموع ، إلى الصورة المرئية : مندداً بأفهام المسلمين بأنهم أعداء الحضارة الحديثة : معلناً استعداد المسلمين للحوار على جميع المستويات ، وفي كل المجالات التي تتعلق بحياة الإنسان وسلامته ، وباستقرار المجتمعات وأمنها .

بدأ الحوار مع الآخر ، فعقدت العشرات من الندوات والمؤتمرات في أماكن شتى في أرجاء المعمورة ، دون أن يعرف أحد من المسلمين المتحاورين ماهية الموضوعات التي يقوم عليها الحوار ، ولا طبيعة الأهداف التي يريدون الوصول إليها . لقد عقدت حتى الآن أكثر من أربعين جولة من الحوار الإسلامي - المسيحي في عواصم متعددة اتخذت شكل مؤتمرات ، وندوات ، وحلقات دراسية ، ولقاءات مشتركة ، وألقيت فيها بحوث حول السلام والتعايش السلمي ، والأخوة الإنسانية ، كما تبودلت كلمات تنضح بالعطف والمودة والرحمة الإنسانية ، وتحددت في بعضها - وهو قليل جداً - بعض الموضوعات التي تتصل بالتعايش السلمي - وغالباً ما كان الجانب المسيحي هو الذي يختارها - ولكن لم يصل المشاركون فيها إلى نتائج ملموسة ، يمكن تنفيذها أو رؤيتها على أرض الواقع ، فهي - غالباً - لا تعدو أن تكون اجتماعات للكلام وتبادل التحيات الرسمية .

ولهذا ينبغي أن يحدد أسلوب الحوار ، ومنهجه ، وقضاياها ، والأهداف التي يريد المتحاورون الوصول

إليها . أما أسلوب الحوار فينبغي أن يكون على النحو التالي :

²¹⁵ المصدر السابق - ٣٤٣ - ٣٤٤

١. لا يكون الحوار متكافئاً إلا إذا كان بين قوتين متعادلتين يعترف كلٌّ منهما بالآخر ، إذ يحدث التصارع عندما تجعل إحدى الثقافات من نفسها الثقافة العظمى ، بينما كل الثقافات الأخرى ثقافات صغرى . ويظن أصحابها أن ثقافتهم أعلى وأعظم من الثقافات الأخرى ، الثقافات الصغرى . نحن نعيش في القرن الواحد والعشرين ، حيث تواجه البشرية نظاماً عالمياً جديداً ، فهل يوجد في هذا النظام أرضية مشتركة ، يقوم عليها الحوار بين الحضارات والثقافات المختلفة ؟ وكيف تبدو هذه الأرضية المشتركة في عالم يريد أن يعيد نظام الهيمنة القديم في ثوب جديد ، تحت شعارات مختلفة ؟ إن الحوار لن يكون مثمراً في هذا الجو إلا إذا تحقق شرط أسسى ، ألا وهو الاعتراف المتبادل بالتقاليد المميزة للحضارة الإنسانية ، قد يكون هذا أمراً صعباً على أولئك الذين يمارسون الهيمنة على العالم ، وليس عندهم الاستعداد للتنازل بأنهم الأقوى ، والأكثر تفوقاً في مجال التكنولوجيا ، ولكنه شرط بالغ الأهمية ، إذا كان الطرفان صادقى النية في الوصول إلى صيغة مشتركة للتعايش السلمى . إن تحقيق السلام في العالم يتوقف على تحقيق السلام بين الأديان ، ولن يتحقق السلام بين الأديان إلا بإجراء حوار بين هذه الأديان ، ومن شروط نجاح أى حوار على أى مستوى أن يكون كل من طرفي الحوار نداءً للآخر ، وهذا يعنى ضرورة تحقيق المساواة التامة بينهما في كل ما يتعلق بالحوار المراد إجراؤه بين الطرفين .

٢. عدم المساس بالعقائد في جلسات الحوار ، وهذا لا يعنى ترك أو إهمال الدراسات العقديّة في المدرجات الجامعية ، وفي حلقات النقاش الأكاديمية ، فذلك مرغوض رفضاً باتاً ، لأن الأديان بالنسبة لأصحابها حقائق مطلقة ، لا يجوز تعديلها ، أو التنازل عنها ، فالانقاص من الإيمان ، ولو قيد شعرة أو أكثر ، يخل به ، ويفقده حقيقته ، وبالتالي لا يكون إيماناً . فهل عند الغربيين استعداد للتنازل عن بعض عقائدهم المسيحية ؟ لا أظن ذلك ، بل العكس هو الصحيح ؛ إذ هم ينتظرون من المسلمين أن يتنازلوا عن بعض مسلماتهم ، كما حدث في إحدى ندوات الحوار التي عقدت بالقاهرة ؛ إذ اعترض المسيحيون المشاركون في الندوة على تركيز المسلمين على موضوع القدس ، وهو من المقدسات الإسلامية ، كما أنكروا بعضهم وصف الإسلام بالربانية ، وأصروا على موقفهم إزاء الإسلام ، من ناحية أن محمداً

ليس نبياً ، ولا كتابه كتاباً إلهياً .²¹⁶ ولهذا يجب على المتحاورين أن ينحوا مسائل العقيدة جانبا ، ويركزوا فقط على المسائل الأخلاقية المشتركة لينطلقوا منها إلى منهاج للتعايش السلمى . وليس الهدف من الحوار الوصول إلى موقف وسط بين العقائد ، أى الوصول إلى توفيق تلفيقي ، يقوم على اتخاذ موقف نسبي عام ، بل أساس اللقاء التفاهم ، ومعرفة كل ما عند الآخر ، وتصحيح للمعلومات غير الصحيحة عند كل طرف عن الطرف الآخر . ثم إن الحوار يكشف لصاحب الدين أو العقيدة - من خلال دين الآخر ، أو عقيدته ، أو ممارسته لها - مفاهيم جديدة ، وأساليب للممارسة تضيق المسافة بين المبدأ والتطبيق ، تساعد على الاقتراب من مثله الأعلى ... ففي الحوار نكتشف التكامل : العطاء والأخذ ، الإثراء المتبادل . حينئذ يصير من الممكن الاعتراف بأن الآخر مصدر للإلهام وللقدرة ، وينتفى التعالى الذى يستند إلى شعور بالكمال والاكتفاء الذاتى . بل يكتشف كل واحد أنه يحتاج إلى الآخر مع الاحتفاظ بهويته . فينظر الواحد إلى الآخر على أن كل واحد لديه شئ يتعلمه من الآخر ويستفيد به ، وأن لدى كل واحد أيضاً شئ يقدمه ، فتتحل عقدة التفوق التى تعطل تبادل الفكر والتفاهم .²¹⁷

٣. الاعتراف المتبادل ، فكما أن المسلم يعترف بوجود عقائد أخرى ويسميها ديناً ، وإن لم يؤمن بما لاعتقاده أنها باطلة ، فكذلك يجب على من يتحاور مع المسلمين الاعتراف بالإسلام ديناً ، فإذا تعذر ذلك ، فلا أقل من احترام تعاليم الإسلام وقيمه ، كما تحتم قواعد الحضارة الحديثة على الإنسان المتحضر أن يحترم تقاليد وعادات الآخر ، وإن كانت فى رأيه لا تتفق مع المنطق والعقل . فإذا تعذر ذلك على بعض المتشددىن ، فلا مانع من إجراء حوار لمنع المواجهة المسلحة بينهم وبين المسلمين ، وإرساء قواعد ومبادئ للتعايش السلمى بين الناس جميعاً ، بشرط أن تكون لغة الحوار مؤدبة ، وأن يلتزم المتحاورون بالموضوعية ، بعيداً عن المهاترات والألفاظ التى تجرح شعور الأطراف المتحاوره.

²¹⁶ علماء الإسلام يردون على هجوم الجانب المسيحى بندرة الحوار ص ١ على شبكة ليله القدر .

²¹⁷ ولیم سلیم : حوار الأديان ص ١٧٣ - ١٧٤

٤. احترام كل طرف من أطراف الحوار ثقافة الآخر وعقيدته ، يقوى الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ

إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا »

[الحجرات : ١٣] فالاتصال الثقافي يجب أن يقوم على أساس تبادل المعلومات والخبرات ، لا بقصد هيمنة ثقافة على أخرى ، أو فرض تقاليد شعب على آخر ؛ فلا يجوز لطرف أن يعلى على الطرف الآخر ما يجب عليه عمله في مجال الثقافة ، أو في مناهج التعليم في مراحلها المختلفة ، أو في توحيد لرأى العام ، عن طريق وسائل الإعلام المختلفة : المقروءة ، والمسموعة ، والمرئية ، فإن ذلك كله من خصوصيات كل أمة ، فلا يخضع لتوجهات خارجية ، أو إملاءات أجنبية . فإن احتاجت إلى تطوير لمواكبة العصر ، أو تعديل لتلائق عجز نبيها ، فينبغي أن يكون ذلك نابعاً من شعور داخلي ، ليأخذ طريقه في إطار الهوية ، بحيث لا يخرج عن التعاليم الدينية ، ولا يبعد عن القيم والمبادئ الأخلاقية ، ولا ينحرف عن العادات والتقاليد المرتبطة بالتاريخ والروح الإسلامية . ومن هنا يجب أن يرفض رفضاً باتاً كل إشارة أو تلميح إلى وجوب حذف آيات شرآنية بعينها من المناهج التعليمية ، أو إهمل أحداث تاريخية تدين مجموعة بشرية معينة ، لأن ذلك - لو حدث - يتناقى مع أهم شرط من شروط لحوار الإيجابي ، ألا وهو عدم تدخل أى طرف في الشؤون الخاصة التي تتعلق بهوية الطرف الآخر وثقافته وعقيدته .

٥. الاعتراف بالأصل الواحد للخليقة كلها ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ » [النساء . ١] ، فلا يتعالى جنس على آخر ، ولا يُفضّل شعب بسبب اللون ، أو الجنس ، أو العقيدة ، أو بسبب قدراته العسكرية ، أو الاقتصادية ، أو العلمية والثقافية .

أما منهج الحوار فيجب أن يكون على النحو التالي :

١. نسيان الماضي بما فيه من صراعات وأحداث مؤلمة ، قد تفجر - لو لم تنس - النفسور بين المتحاورين ، وتلقى بظلال قائمة على جو الحوار ، فتحفز كل طرف ضد الآخر ، ملقياً بالشكوك في كل ما يطرح من قضايا ومشكلات على مائدة الحوار .

٢. حرية العقيدة ، يقول تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ . . . ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، فلا يجوز لأحد أن يفرض عقيدته على الآخرين بالقوة ، بل يُترك الأمر للناس ، يعتقدون ما يرونه صحيحاً ، دون ضغط أو إكراه .

٣. اتباع المنهج العقلي في طرح القضايا والمشكلات ، وسبل حلها ؛ لأن العقل هو القاسم المشترك بين الناس جميعاً ، على اختلاف مللهم ونحلهم ، فهو أقرب المناهج لالتقاء الناس ، مختلفي العقائد والملل ، وهو أقصر الطرق للوصول إلى رسم منهج مشترك للتعايش السلمى .

٤. عقد ندوتين سنوياً ، يفصل بينهما أربعة أشهر ، تُخصَّص للإعداد الجيد ، وذلك باختيار موضوع واحد ، يُستكتب فيه علماء ومفكرون على مستوى عالٍ جداً ، ثم تناقش أوراقهم في الندوة ، بحيث تخرج المناقشة في صورة ورقة واحدة ، تجمع ما في الأوراق كلها من أفكار ومبادئ . ثم يُعقد مؤتمر تناقش فيه الورقتين اللتين أعدتهما الندوتان ، ولا يعقد هذا المؤتمر إلا بعد مرور أربعة أشهر على عقد الندوة الثانية ، يكون العمل فيها مُركّزاً على استخلاص ما في الورقتين في ورقة واحدة ، تُعرض على المؤتمر ، ثم يخرج منه بيان بالمبادئ التي اتفق عليها المؤتمر . وإن لم يحدث ذلك كانت لقاءات الحوار الديني بلا هوية تعرف بما ولا طابع يميزها ، ولا نتيجة من ورائها تجنى الشعوب ثمرتها .

٥. يُكوّن جهاز إداري تكون مهمته العمل بكل الوسائل على تفعيل ما صدر عن المؤتمر من مبادئ وتوجهات على كل المستويات الإقليمية والدولية ، ولو اقتضى الأمر رفعها إلى المنظمات الدولية لإصدار قرارات مُلزمة بتنفيذ هذه المبادئ ، فيجب القيام بذلك ، وإلا أصبحت جلسات الحوار الديني عبارة عن اجتماعات شكلية ، وتوصيات ونتائج لا تعدى كونها كلمات سُطّرت على ورق ، وبالتالي تصبح لقاءات فاشلة ، لا فائدة فيها ، اللهم إلا تعطيل مصالح المسلمين ، وتضييع الوقت في مباريات كلامية ، وخطب جوفاء لا مدلول لها .

موضوعات الحوار

لاشك أن موضوعات الحوار لديني ، التي يجب وضعها على مائدة البحث كثيرة كثيرة تجعل من المستحيل حصرها ، لأنها تتعلق بحياة الأفراد ، وحياة الشعوب . وعلى الرغم من كثرة عناصرها الماثلة أمامنا، فهي أيضاً متجددة ، ومتطورة ، وخاصة في العصر الحديث ، عصر التكنولوجيا ، وعصر ما بعد الحداثة ، الذي يُخْرِج لنا كل يوم من الأطروحات وما يتبعها من مشاكل ما يدفع أجهزة الرصد إلى العمل بأقصى سرعة لملاحظتها وتقييمها . ولكن هذا لا يمنع من تناول أهم ما فيها ، وأكثر إلحاحاً لضبطه وتصويبه، لتستقيم العلاقة بين الشعوب على أساس سليم ، يسعد الأفراد ، ويساعد على ازدهار الأمم وتقديم المجتمعات .

ومن اللافت للنظر أن بعض القضايا قديم قدم قيام المجتمعات الإنسانية ، على الرغم من تطوير مفهوميها ، وتنوع مضامينها بتطور الحياة الإنسانية ، وأخرى أفرزها التقدم الحضاري والاكتشافات العلمية . ويجب على المتحاورين أن يقدموا - في قائمة موضوعاتهم - الأهم على المهم ، حتى يسهموا في الإسراع بمحاولة حل المشاكل التي تتعلق بحياة الناس ، أفراداً وجماعات .

ومن أهم الموضوعات التي يجب بحثها :

- **قضايا الإنسان** : فقد كرمه الله - كما أخبرت بذلك كل الكتب المقدسة - ، وركزت على تكريمه معظم - إن لم يكن كل - الاتجاهات الفكرية في كل العصور والأزمان ، لذا يجب أن توجه الدعوة إلى بحث ما يجب عمله لحفظ حياته ، أيّاً كان لونه ، أو عقيدته ، أو جنسه ، فلا ينبغي أن يستعلي إنسان على أخيه ، أو يظلمه باغتصاب حق من حقوقه المشروعة : حفظ النفس ، والدين ، والعقل ، والنسل ، والمال . كذلك لا ينبغي أن يهان ، أو يذل من ثقافة أخرى على أي مستوى : ثقافي أو إقتصادي ، أو سياسي ، أو اجتماعي ، وعليه فيجب أن يكون موضوع حقوق الإنسان أول ما يوضع على مائدة الحوار الديني ، من حيث **حرية العقيدة** ، يقول الله

تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، فلا يجوز لأحد أن يفرض عقيدته على الآخر بالقوة ، بل يُتْرَك الأمر للناس ، يعتقدون ما يرونه صحيحاً ، دون ضغط من أي نوع . **والعدل** ،

يقول تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. [المائدة :

٨] ، ومن مقتضيات العدل حق كل شعب في أن يعيش في وطنه دون اعتداء عليه من أى نوع ، أو محاولة للسيطرة علي مقاليد أمره . **وحرية التعبير** لأن التقييد في هذا المجال يزيد الأمور

غموضاً، فلا يعرف مايمكنه البعض للآخر ، وبذلك تنمو الدسائس والفتن. **والمساواة** ، فلا فضل لأحد على آخر ، وذلك يقتضى الاعتراف بحق كل شعب في الموارد الطبيعية ، بحيث تُقسَّم بالتساوى على كل شعوب الكرة الأرضية ، فلا استغلال ، ولا احتكار ، وإنما تعاون بين الناس على تنمية الموارد ، وتوزيعها على الشعوب ، بحيث ينال كلُّ ما يضمن له حياة كريمة ؛ تليق بالإنسان الذى كرمه الله . هذه هى القواعد الأساسية في مجال حقوق الإنسان ، ويجب على أطراف الحوار الاعتراف بها ، وإعلان هذا الاعتراف على الملأ ، ثم يبدأ الحوار بين الأطراف للوصول إلى صياغتها في مبادئ عامة ، يلتزم الجميع بتطبيقها بكل الوسائل، حتى وإن اقتضى الأمر إنشاء تحالف دولي لفرضها بالقوة على من يرفضها .

- **حقوق المرأة** : من الطبيعي أن تتمتع المرأة بكل ما يتمتع به الرجل ، من الناحية الإنسانية ، فكل مايتوصل إليه الحوار الديني في بحث موضوع " حقوق الإنسان " ، يسرى على المرأة ، ثم تنفرد ببحث آخر ، ليرفع عنها ما يلحقها من ظلم باعتبارها أنثى ، وذلك من حيث حقوقها كزوجة ، ابتداءً من حقها في اختيار شريك حياتها ، إلى ممارستها في إدارة شئون الأسرة ، وتربية أولادها ، وحقها كمواطنة ، لما ما للرجل من : تعليم ، وعمل ، ومشاركة في شئون الأمة : الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي يمارسها الرجل ، ما دام ذلك في استطاعتها .

- **البيئة** : قد يبدو للبعض أن هذا الموضوع بعيد كل البعد عن موضوعات الحوار السديني ، لأن مفرداته من نظافة وتشجير وأمثالهما لا تدخل في نطاق الموضوعات المثيرة للجدل ، والتي تحتاج إلى اتفاق بين ممثلى السلطة الروحية ، ولكن هذا الفهم غير صحيح ، فلم تعد المشاكل البيئية قاصرة على هذا التصور ، بل امتد نطاقها ، فأصبحت مسألة دولية تحتاج إلى تضافر كل القوى ، بما فيها المؤسسات الدينية ، ذلك أن البيئة مهددة بالمتوجات البيولوجية ، من أسلحة

ومتفجرات، وعلى رأسها الأسلحة النووية ، التي أصبحت أكبر هاجس للإنسان ، تقص مضاجعه ، وتمدد وجوده ، فهو في قلق دائم ، وخوف مستمر من آثار هذه المخترعات ، لا من حيث توقعه لاندلاع حرب نووية فقط ، بل من تسرب هذه الإشعاعات النووية ، كما حدث في تشيرنوبيل قبل عدة سنوات ، ومن انتشار إشعاعها بأى طريق آخر ، حيث تدمر الكائنات الحية المحيطة به، بما فيها من الطعام والشراب الذى ينقل إليه الأمراض والعلل لتي لا تبقى ولا تذر . ولهذا يجب بحث هذا النموذج في لقاءات الحوار الدينى ، واتخاذ قرارات وفتاوى دينية لتحريم هذه الصناعة ، ومناشدة كل الدول ، بلا استثناء ، حتى الدول العظمى بالتخلص من هذه الصناعة كلية ، وتدمير كل مالمديها من قنابل ومتفجرات نووية ، ومناقشة السبل التي يمكن أن تتخذها كل المؤسسات الدينية لتخليص العالم من هذا الكابوس الذى يجثم على صدور الناس ، حتى يشعر الإنسان بالأمن والسلام ، فتهداً نفسه ليتفرغ للإبداع في المجالات التي تساعده على التطور الحضارى ، وتعيش كافة الشعوب في أمن واطمئنان .

– **توزيع الثروات :** لاشك أن الله سبحانه وتعالى خلق الأرض ، وأودع فيها ثروات متعددة ، ليستخدمها الإنسان في حياته ، وعليه فلا يجوز لشعب أن يحتكر هذه الثروات ويحرم منها الآخرين ، كما هو واقع اليوم في عالمنا المعاصر ، إذ يستأثر ٢٠% من سكان الأرض — ٨٠% من هذه الثروات . وهذا ظلم يجب رفعه عن المحرومين من التمتع بثروات الكرة الأرضية . وعليه فيجب على المؤسسات الدينية بحث هذا الموضوع في لقاءات الحوار الدينى ، للوصول إلى قواعد تعطي كل ذى حق حقه ، فلا ظلم ، ولا احتكار ، ولا استغلال ، بل تعاون ، وتضافر للجهود ، حتى يكون هناك توازن بين الشعوب في الانتاع بهذه الثروات ، كل حسب طاقته ، ولا يُحرَم منها من لم تؤهله طاقته وعمله بل يأخذ ما يكفيه في حياته ، حتى ولو اقتضى الأمر إنشاء صندوق لمساعدة الشعوب الضعيفة — وكذلك الأفراد — ليعيشوا عيشة إنسانية كريمة .

هذه نماذج فقط من القضايا التي يجب أن تطرح على مائدة الحوار الدينى ؛ إذ مما لاشك فيه أن هناك العديد من القضايا والمشكلات التي يجب بحثها ، فعلى المكلفين بالتحضر لهذه الندوات والمؤتمرات حصر قضايا العصر التي تحتاج إلى بحث ، ووضعها في قائمة حسب أهميتها بالنسبة لحياة الأفراد ، وضرورتها لاستقرار المجتمعات الإنسانية وأمنها

أهداف الحوار الديني

للحوار الديني أهداف متعددة ومتنوعة على جميع الأصعدة : فردية وجماعية ، إقليمية ودولية ،

ثقافية وفكرية ، ومن أهم هذه الأهداف : معرفة الآخر ، إذ يعرض كلٌّ ما عنده أمام الآخر ، سواء كان ذلك يتعلق بحياة الإنسان فرداً أو جماعة ، أو باستقرار حياة الشعوب وأمنها . يعرف المرء رأى الآخر في العدل والمساواة والتكافل ، ومدى استعداده للمشاركة في وقف العدوان على الشعوب ، والإسهام في العمل العام لحماية الإنسان من الضياع والهلاك تحت عجلة القوى الاقتصادية عابرة القارات ، وفي مواجهة الأسلحة الفتاكة التي تُسقط كل يوم - بل كل ساعة - العشرات - بل المئات - من القتلى والجرحى ممن لا ذنب لهم ولا جريمة ارتكبوها ، اللهم إلا الرغبة في فرض الهيمنة والسيطرة من المتشددین والمتطرفین من الجماعات غير الشرعية ، أو من جانب عصابات إقليمية ، أو من جانب قوى دولية عظمى .

إن مجرد الجلوس على مائدة الحوار الديني بنية صادقة من الطرفين في التعايش السلمي ، يتزع فتيل الاختلاف من المتخاصمين ، ويمهد الطريق لبدء حقبة جديدة يتعاهد فيها الطرفان على العمل سوياً لرفع الظلم عن المظلومين ، ومساعدة الضعفاء على حماية أنفسهم وأموالهم وأوطانهم ، والوقوف جبهة واحدة أمام كل من يعتدى - أو يفكر في الاعتداء - على غيره ، أو يستيحي حرمان الآخر ، سواء على مستوى الأفراد أو الشعوب .

إن صدام الحضارات فكرة شيطانية ، يراد بها نشر العداوة والبغضاء بين الشعوب ، مما يعطى قوى العدوان ذريعة للسيطرة على ثروات الشعوب ومقدراتها ، ولذا يجب أن يركز الحوار الديني على التعايش السلمي بين الأمم ، وإن اختلفت عقائدها ، وتنوعت ثقافتها ، وتعددت اتجاهاتها الفكرية ؛ إذ لم يكن - ولن يكون - صدام بين الحضارات ، بل تنافس شريف ، يتمثل في تبادل الأفكار والرؤى على جميع المستويات ، فما كان صالحاً للأفراد والمجتمعات ، بقى واستمر ، وثبتت أقدامه ، وما كان طالحاً ذهب واندثر ، يقول الله

تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزُّبَدُ بُدٌّ هَبٌ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ . [الرعد : ١٧]

* * *

obeikandi.com

الملحق الثالث

تدريس علم الأديان فى الجامعة

يدور نقاش حاد فى جامعتنا الإسلامية حول مادة علم الأديان ؛ إذ يرى فريق : أن الجامعة بمفهومها الاصطلاحي ، ينبغي أن تبنى الفرصة لأبناء المجتمع لدراسة جميع فروع المعرفة ، سواء كان أساس هذه المعرفة وحيًا سماويًا ، أو من إنتاج العقل البشرى ، ثم تستخلص منها ما يعود على المجتمع بالخير ، داخل إطار العقيدة والتقاليد الدينية ، وتركز عليه لتبنى الفرد الصالح للنهوض بالأمة ، وإن لم تقم الجامعة بهذا الواجب ، أصبحت اسمًا على غير مسمى ، وصار الادعاء بأنها جامعة ، لا يخرج عن كونه " يافطة " أو " شعاراً " لا فائدة منه ، إلا التأثير النفسى على المنتسبين إليها ، إذ يعتقدون أنهم متساوون مع المنتسبين للجامعات الأخرى ، فى المنهج ، وفى أسلوب التفكير الأكاديمي ، وأيضاً فى المعاملات المالية من رواتب ، ومكافآت واستحقاقات .

ويرى فريق آخر : أن الجامعة الإسلامية - على الرغم من أنها تحمل الاسم الحديث - ينبغي أن تعنى بتدريس المواد الدينية فقط ، أو ما يتعلق بها من قريب أو بعيد ، كعلوم التربية والاجتماع .. و...و... الخ : وما عدا ذلك ، فلا يجوز أن تتضمنه خطط الدراسة ، وخاصة إذا كانت له صلة بعقائد الشعوب الأخرى ، لأن فى تدريسها خطر على عقيدة الطالب .

فهل يكون تدريس الأديان خطراً يجب اتقاؤه ؟ وما مدى هذه الخطورة ؟ ومن أى نوع هى ؟
لن أجب على هذه الأسئلة بادئ ذى بدء بالإيجاب أو النفى ، وإنما سأعرض على القارئ بعض الجوانب التى ستوحى له بالإجابة :

١- العقل :

إن قضية العقل هى قضية الإنسان ، فأينما وجد الإنسان ، وحيثما وجد ، ظهر أثر العقل واضحاً ، ولذا عرف علماء المنطق الإنسان : بأنه حيوان ناطق . وليس مرادهم بالناطق ، أنه يصدر أصواتاً خالية من

المضمون الفكري ، الدالة على وجود عقل - أياً كانت درجة تطوره - ؛ وإلا دخل في الحد حيوانات أخرى ، تصدر أصواتاً ، ذات دلالة حسية مفهومة بين بني جنسها . فمقصود علماء المنطق بهذا التعبير ، أن هذا الكائن الحي - وهو الإنسان - تَفَوَّقَ على كل الكائنات الحية الأخرى بعقله الكامل ، الذي مكّنه من التلطف باللفظ ، ذات دلالة على أنه ذو قوة مفكرة ، أى أن الإنسان : حيوان مفكر ، وما الكلام إلا تعبير عما لديه من أفكار ، كما قال الشاعر :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما * جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فالتفكير هو إحدى النواحي ، التي ميزت الإنسان عن الحيوان ؛ إذ منحه الله له تكريماً وتفضيلاً على سائر الكائنات الحية ، ولا يعادله تكريم على الإطلاق ، فليس هناك من الخصائص الإنسانية ، ما يعادل نعمة العقل ، الذي هو أداة التفكير ، فهو مدار التكريم في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمُرَرْنَاهُمْ مِنْ الصَّيِّبَاتِ وَقَضَيْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ . [الإسراء : ٧٠]

ولذا كانت أول آية نزلت من القرآن الكريم موجهة إلى العقل ، مخاطبه ، وتحته على التفكير في نفسه، وفي كيفية خلقه ، وفي وظيفة العقل في تحصيل المعلومات ، يقول تعالى :

﴿ إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * إقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْبَرُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . [الأعلى : ١-٥] ولا يمكن أن يدرك ذلك إلا كائن حي، له عقل يفكر به .

فالعقل الذي لا يستخدم في التعليم ، وتحصيل المعرفة ، والتفكير في البحث عما ينفع ، هو أداة معطلة ، مثل الآلة التي لا تستعمل في الأغراض ، التي صنعت من أجلها ؛ فالسيارة التي تقف عن السير لا قيمة لها ، فكذلك العقل ، الذي لا يفكر ، ولا يستخدم في تحصيل المعرفة ، لا وجود له ، وقد حث القرآن الكريم في كثير من آياته على استخدام العقل ، لأن استخدامه يقود صاحبه إلى الهداية ، وإلى معرفة الواحد القهار ، يقول تعالى :

﴿ كَذَلِكَ يبينُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الكهف : ٢١٩]

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الانعام : ٥٠]

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ... ﴾ [الروم : ٨]

﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ... ﴾ [الاعراف : ١٧٦]

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ... ﴾ [يونس : ٢٤]

وقد تكررت في القرآن الكريم كلمات مرادفة للفكر مثل :

يفقهون :

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ... ﴾ [الانعام : ٩٨]

بل ذم القرآن من لم يفقه وتوعده بسوء المصير ، يقول تعالى :

﴿ فَمَا لَهُمْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا... ﴾ [النساء : ٧٨]

﴿ وَقَدْ دَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ، لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا... أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ

هَذَا أَصْل... ﴾ [الاعراف : ١٧٦]

﴿ قُلْ تَأْمُرُ بِجَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ... ﴾ [الكهف : ٨٧]

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ٧]

ومثل :

يعقلون :

﴿ كَذَلِكَ يبينُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٢]

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفَلَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ

اللَّهِ أَفَلَا تَعْلَمُونَ ﴾ . [الانبياء : ٦٦ - ٦٧]

﴿ وَبَلِّغْ أَلَمَاتٍ لِّبَشَرِهِم مَّا يُعْمَلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ . [العنكبوت : ٤٣]

ولو أحصينا الآيات ، التي ورد فيها ذكر الفكر ومرادفاته ، لضاعت به المساحة المخصصة لهذا البحث وفي هذا دليل على أن الفكر - المتطور - خاصية من خواص الجنس البشري ، بل هو أهم ما يميزه عن غيره من الكائنات الحية ، فلا يمكن أن يوجد إنسان سوى سليم ، بدون فكر . فالفكر عصب حياة الإنسان ، وأثره واضح في جميع مجالات الحياة الإنسانية . غير أنه يختلف من مجتمع لآخر ، في المضمون ، والقيمة ، وفي قوة التأثير في حياة الفرد ، وقدرته على التغيير في النظم الاجتماعية . فتفكير الإنسان في المجتمعات البدائية كان بسيطاً ، يكاد ينحصر - علاوة على المعتقدات الدينية - في الصيد ، أو الرعي ، أو الزراعة ، لتحصيل ما يقتات به ، وكلما اتسعت دائرة نشاط الفكر ، كلما ازدادت معلومات الإنسان ، فازدادت ثقافته ، التي يستخدمها في تحسين وسائل الحياة فيتقدم المجتمع .

وحرية الفكر شرط أساسي لتقدم المجتمع ، لأنها البوتقة التي تنصهر فيها الآراء المختلفة ، فتُعزَل الأفكار الهزيلة ، والمبادئ الهدامة ، وتخرج الآراء الصحيحة صافية نقية ، تنير الطريق أمام مسيرة التقدم . ولا ينبغي تقييد هذه الحرية ، بحجة المحافظة على وحدة الأمة ، أو الحيلولة دون وقوعها في حلبة صراع فكري ، لأن اختلاف الآراء دليل على حيوية المجتمع ، ومقدمة حتمية لتطوره ، إذا أراد كل طرف الوصول إلى الحق ، حيثما كان .

أما التقليد ، وكذلك حمل الناس على أن يعتقدوا بقدسية رأى بشرى عن طريق كبت المعارضة ، تارة بقوة الحديد والنار ، وأخرى بالإرهاب الفكري ، فهو نذير بانقراض المجتمع ، لأنه يقضى على البراعم الفكرية فيه ، ويوقف قلبه النابض .

وقد ذم الإسلام التقليد ، الذي يصرف الإنسان عن التفكير ، فيما يُعرض عليه من أفكار ، يقول

تعالى :

فهم المسلمون الأوائل هذه الروح الإسلامية ، فقادوا حركة عقلية في صدر الإسلام ، استهدفت شرح قضايا الإسلام من مصادره الأصلية : القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وكان استخدامهم للفكر :

- إما تفقهاً واستنباطاً للأحكام الدينية ، التي تنظم سلوك المسلم نحو خالقه في العبادات ، ونحو أخيه المسلم في المعاملات ، أو معالجة أحداث جدت في المجتمع الإسلامي ، وبالتالي لم تعرف أحكامها من قبل .
- وإما توفيقاً بين مبادئ الدين وتعاليمه من جانب ، وأفكار أجنبية دخلت الجماعة الإسلامية من جانب آخر .
- أو دفاعاً عن العقائد ، التي وردت فيه ، أو ردّاً لعقائد أخرى مناوئة لها ، حاولت أن تحتل منزلة في الحياة الإسلامية العامة لسبب أو لآخر .

لم تكن هذه المحاولات موجودة على عهد رسول الله ﷺ ؛ لأن الوحي لم يكن قد انقطع بعد ، فلا مجال لرأى بشرى ما دام الوحي يجب على كل سؤال ، ولا في عهد الخلفاء الراشدين ، فقد كان المسلمون مشغولين آنذاك بنشر الدعوة ، وتمكن الجماعة ، والاستقرار ، وإرساء الحياة الإسلامية فيها على مبادئ القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة بالتطبيق العملي لوصايا الإسلام ، وعدم الانفكاك عن الأسلوب الذي ألزم به الرسول ﷺ نفسه في تصرفاته . ولكنها - - أى هذه المحاولات - وضحت كظاهرة عامة . يوم أن خف الإيمان ، يوم أن دخلت أساليب للحياة ، لم تكن معروفة من قبل في المجتمع الإسلامي ، إذ عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية ، ورفرت راية الإسلام على مملكتي كسرى وقيصر ، دخل الناس في دين الله أفواجاً ، يحملون معهم أفكارهم ، وعقائدهم السابقة ، لأنهم لم يعيشوا قبل الإسلام في فراغ عقلي ، فقد كان لهم تراث ديني - أياً كانت قيمته في نظر الإسلام - وأفكار فلسفية حيرل طبيعة الوجود ، لا تتفق مع تعاليم الإسلام .

لم تحتف هذه الأفكار الدينية والفلسفية عقب الفتح مباشرة - ولو حدث هذا لكان ذلك نقضاً لسنة التطور ، والتحول الفكري في المجتمعات الإنسانية - ، بل كانت وقوداً للمعارك الفكرية ، التي اشتعلت في المجتمع الإسلامي ، وظلت متأججة شرقاً وغرباً عدة قرون ، مما دفع كثيراً من اعلماء آنذاك ، إلى دراسة الفكر الأجنبي واستيعابه ، ليكونوا أكثر قدرة على الدفاع عن الإسلام ، ضد الفكر الدخيل ، إذ كلما ازدادت معرفة العالم بما عند الخصم من أفكار وحجج وبراهين ، كان دفاعه مقبولاً عقلياً ونفسياً واجتماعياً ،

فالفزالي - على سبيل المثال - لم يكن ليستطيع أن يكتب تهافت الفلاسفة - وهو كتاب له وزنه في الأوساط الفكرية - لو لم يدرس الفلسفة دراسة فهم واستيعاب وإحاطة .

فالصراع الفكرى هو إحدى ظواهر المجتمع الإنسانى ، وعامل من عوامل تقدمه ورقبه ، لو اتجه وجهة بناءة ، ولم ينحرف إلى حافة التدمير والتخريب .

ولا يخلو منه مجتمع بشرى ، لأنه عصب وجوده ، والقلب الذى يدفع بدم الحياة فى شرايينه ، ولذا ينبغى ألا يقابل بالاستنكار ، والوعيد بكبته ، والقضاء على من يحمل رايته ، بل بمحاولة فهم آراء المخالفين ، والرد عليها بجدوء ، وتصير من خُذع بالشعارات البراقة ، والعبارات الرنانة ، والأخذ بيدهم إلى الصراط المستقيم .

عندما واجه المسلمون التيارات الفكرية الأجنبية (وثنية ودينية : البوذي ، والبرهمى ، والزرادشتى ، والمائوى ، والمسيحى ، واليهودى ، والفلسفى الإغريقى) ، هبوا للدفاع عن العقيدة ، وعندما جددت فى المجتمع الإسلامى أحداث ، لم تكن فى عهد الرسول ﷺ ، اجتهد المسلمون فى البحث عن أحكام لها ، داخل إطار التشريع الإسلامى ، كذلك عندما اختلف المسلمون (خوارج ، وشيعية ، ومرجئة ، ومعتزلة ، وصفاتية ... الخ) ، حاول كل فريق الاستدلال على صحة رأيه من الكتاب والسنة ، وفى كل هذا استخدم العقل ، فأتى فكرياً ، وكان من نتيجة هذا ، ظهور المدارس المختلفة فى المجتمع الإسلامى ، فتكونت : المدارس الكلامية ، ومذاهب الفقه ، ومدارس الصوفية ، ومدارس الفلسفة ، ومدارس تفسير القرآن الكريم ، ومدارس الحديث وعلومه .

حقاً ! لقد كانت هضة علمية ، لم تقتصر على العلوم الإنسانية ، بل تجاوزتها إلى كل المجالات الثقافية ، التى يمكن للعقل أن يدلى بدلوه فيها ، ولولم يقم علماؤنا - طيب الله ثراهم - بهذا الجهد الضخم ، لكان اليوم أمة ، لا ماضى لها فى مجال الإبداع البشرى ، ولست مبخساً أحداً حقه ، إذا قلت : إننا لا نملك الحاضر ، بل هو فى يد من أطلق عنان الفكر ، فسيطر على تسيير دفة السياسة الدولية ، وتحكم فى مجالات كثيرة ، فى مصائر الشعوب الإسلامية ولن يكون لنا مستقبل ، إلا إذا اقتنينا أثر علمائنا الأجداد .

٢ . الثقافة :

إن من أكثر الكلمات شيوعاً فى هذا العصر ، هى :

ثقافة - حضارة - مدينة

إذ ليس من النادر ، أن تسمع كل يوم في الأحاديث ، التي تدور بين الناس ، في المكتب ، والشارع ، وفي البيت ، هذه الجمل : هو إنسان مثقف ، يعامل الناس بأسلوب حضارى ، هو على درجة كبيرة من التمدن في الملبس والسكن .

أتدل هذه الكلمات على معنى واحد ، فتكون مترادفة ، أم أن لكل منها معنى

مستقلاً عن الأخرى ، أم أن معانيها متداخلة ؟

تطلق كلمة : " الثقافة " ، ويراد بها التراث الحضارى الفكرى في جميع جوانبه النظرية والعملية ، الذى أنتجته الأمة ، وتميزت به عن غيرها ، فهو ينتسب إليها ، وهى تعرف به ، وتُتَمِّم بين الأمم على أساسه ، ولذا ينبغى على أبنائها أن يفهموا هذا التراث : وأن يبذلوا قصارى جهدهم لتنميته ، كى يصلوا به إلى المستوى الأسمى ، وأن يستمروا في العطاء للمحافظة على المستوى الذى يليق بواقع الأمة بين شعوب العالم في مجالات التطور الحضارى ، والنمو الفكرى .

غير أن بعض الباحثين يطلق كلمة " الثقافة " على الجانب الروحى والمعنوى ، وكلمة

" الحضارة " على الجانب المادى ، لكن هذا التفريق في الاستعمال يخالف الواقع الملموس ، لأن الحضارة المادية ، لا تنفصل عن الجانب المعنوى ، الذى يمثل التراث بقسميه : النظرى والعلمى .

وبعضهم يطلق كلمة " المدنية " على الجانب المادى المظهرى ، من حيث أنماط المعيشة ، التى

تتصل بحياة المجتمعات ، و " الثقافة " على الجانب المعنوى ، الذى يقابل الجانب المادى ، ويندرج تحته كل ماله صلة بالروح ، والفكر ، والعقل من حيث أسلوب الجماعة في حياتها الروحية ، والفكرية ، والأدبية ، ويجعلون كلمة " الحضارة " شاملة لكل من المعينين : المادى ، والمعنوى : أى شاملة لكل من " المدنية ،

والثقافة " .

وبناءً على هذا التفسير ، تكون معاني الكلمات الثلاث " الثقافة ، والحضارة ، والمدنية " متداخلة ، أو باصطلاح علم المنطق : بينهما عموم وخصوص مطلق ، تجتمع كلها عند إطلاق كلمة

«الحضارة» ، وتنفرد « المدنية » بالجانب المادى المظهري ، و « الثقافة » بالجانب المعنوي ، الذى يشمل كل ماله صلة بالروح ، والفكر ، والعقل .

كذلك نلاحظ أن معانيها تكاد تكون واحدة في لغة التخاطب في المجتمع ؛ إذ كثيراً ما يوصف الشخص ، الذى يعنى بمظهره ، بأنه متمدن ، أو متحضر ، كما أن رأى السائد أن (المثقف) يعنى بحسن مظهره ، لأن كثرة اضطراره على ثقافة وعادات الشعوب الأخرى ، يرهف حسه ، ويوقظ فيه - غالباً - غريزة حب الجمال ، سواء كان سلوكاً أم مظهراً .

فإذا تجاوزنا عن الجانب المظهري المادى ، وجدنا أن كلمتى « الحضارة والثقافة » تدلان على مجموع ما خلفته الأمة من آثار حضارية ، وفكرية ، وفنية ، وأدبية في جميع المجالات المادية والمعنوية .

كيف تستطيع أمة ما أن تُكوّن هذا التراث ؟ وما هى العوامل

الأساسية ، التى تتيح لها التفوق على غيرها فى هذا المجال ؟

إن أسباب قيام حضارات الأمم كثيرة ومعقدة ، إذ يؤثر فيها - بجانب عوامل أخرى - اختلاف الزمان ، وتفاوت المكان ، وخصائص الطقس السائد في المنطقة ، وطبيعة اتصال الأمة بالحضارات الأخرى ، ونوع علاقتها بمن جاورها من الأمم والشعوب ... الخ ، ولكن هناك أسساً عامة قامت عليها جميع الحضارات الإنسانية ، وسوف تحتاج إليها أية أمة ، تريد أن تبني حضارة .
ومن أهم هذه الأسس :

أ. الأخلاق :

ينطوى ميدان الأخلاق على تعقيدات ملحوظة ، فهى لا تقتصر على وجود وجهات نظر متعارضة عديدة ، بل إننا نجد أيضاً فئات كثيرة مختلفة ، وخطوط تقسيم متقاطعة ، ونقاط ارتكاز تبدو منعدمة الصلة بعضها ببعض ، فالذهبان الرئيسان في علم الأخلاق - وهما المذهب الطبيعي ، والمذهب المثالي - مختلفان في تحديد معنى الخير والشر ، ولا يلتقيان في تحديد مصدر الإلزام ، ولا في طبيعته ، وليس بينهما تطابق في أسلوب تقييم السلوك البشرى . ورغم هذا كله ، فقد استطاعت الشعوب ، حتى قبل أن تظهر المذاهب الأخلاقية في المجال العلمى ، أن تلتزم بمبادئ أخلاقية ، مكنتها - بالإضافة إلى الأسس الأخرى - من صنع

حضارة رفعت مكانتها بين الأمم ، فكثيراً ما حدثنا التاريخ ، أن نظماً أخلاقية متعددة المناحي والاتجاهات - بعضها مصدره الوحي السماوى ، وبعضها الآخر تستقى تشريعاً للفضائل من قوانين العقل ، أو وحى الضمير ، أو سلطان المجتمع ، أو حساب المصالح والمنافع ، أو غير ذلك - لعبت دوراً كبيراً في بناء الحضارات ، غير أن من المسلم به . أنه كلما كان للمصدر الرئيسى للترعة الأخلاقية سلطاناً على النفوس ، اكتسبت الفضائل الأخلاقية عمقاً في ضمير الفرد ، واتسعت رقعتها في المجتمع ، ورسخت في النفوس رسوخاً ، لا تمزح أزمات طارئة ، ولا تزغزعه كوارث عارضة ، مهما كان نوعها ومصدرها .

ولو تصفحنا المعايير الأخلاقية المطروحة على بساط البحث أمام علماء الأخلاق ، لوجدنا أن أشدها سلطاناً على النفوس ، هي تلك التى تقوم على عقيدة دينية ؛ لأن المؤمن يرى أن التزامه بهذه المبادئ واجب ، لأنها أوامر الله ^{٢١٨} ، وأداء المراء لواجبه يعنى الامتثال للإرادة الإلهية ، ونحن - المؤمنون - ملزمون بأداء الواجب على هذا النحو ، بحكم نفس طبيعة علاقتنا بالله ، إذ أننا مخلوقاته وعبده ، ومن البدهى أن تطيع المخلوقات خالقها ، وأن يطيع العبد ربه .

وطبقاً لهذا المفهوم ، فقد غير الدين المفهود الأساسى للأخلاق السائدة في مجتمعات لادينية ، ذلك أن الفكرة الأساسية للأخلاق تعتمد في هذه المجتمعات على المذهب القائل ، بأن قوام الحياة الأخلاقية ، هو طاعة القانون . غير الدين هذا المفهوم ، فألبس الأخلاق ثوباً جديداً ، ألا وهو أن القانون الأخلاقى ، ليس قانوناً يكتشفه العقل البشرى ، وإنما هو قانون صادر من الوحي الإلهى ، الذى لا يكون أمامنا إلا أن نطيعه ، سواء أكان يبدو لنا - في الظاهر - معقولاً أم غير معقول ، منطقياً أم تعسفياً ، عادلاً أم ظالماً ، فمن الواجب إطاعته مجرد كونه تعبيراً عن الإرادة الإلهية ، لا لأنها نرى فيه وسيلة لتحقيق سعادتنا البشرية ، وبطبيعة الحال فنحن نفترض ، أنه لما كانت القوة ، التى تسهر على تنفيذ هذا القانون الإلهى ، هي ألوهية خيرة ، فسوف يكون ذلك قانوناً خيراً ، يعبر عن حكمة عليا . كذلك لما كانت مصلحتنا - في الدنيا والآخرة - تتوقف مباشرة ، على إطاعتنا لهذا القانون ، فمن الواضح أن المطلوب منا ، هو أداء أية واجبات يحددها ، بغض النظر عن رأينا البشرى في هذه الأوامر .

²¹⁸ تنحصر أوامر الله الواجب اتباعها دون شروط في القرآن والسنة الصحيحة ، أما فهم العالم لهذين المصدرين ، فهو من قبيل الاجتهاد ، وهو لا يلزم مجتهداً آخر به ، أما غير المجتهد فهو يخير بين آراء العلماء المختلفة ، إلا أن من المستحسن أن يلتزم برأى الجمهور .

فالمؤمن - الصادق في إيمانه - لا يؤدي واجبه الأخلاقي ، سعياً إلى إرضاء المجتمع ، أو ابتغاء الحصول على مركز أدبي ، أو منفعة مادية ، بل ابتغاء وجه الله : ﴿ إِنَّمَا نَطْمَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾ . [الإنسان : ٩] ، فهو ملتزم بالمبادئ الأخلاقية مجرد كونها متعلقة بالتزام ديني ، بغض النظر عن أية منافع ، أو أضرار شخصية ، قد تنجم عن هذا الالتزام .

سادت المبادئ الأخلاقية الإلهية مجتمعات لم تؤمن بالتوحيد ، وسيطرت على عقول لم تؤمن بوجود الله ، ويرجع ذلك إلى أمرين :

١ . أن الله خلق الإنسان ، وأودع فيه حب الخير والفضيلة ، فإذا انحرف - فكرياً أو سلوكياً -

فمن الممكن أن يهتدى إلى طريق الخير ، إذا وجد المناخ الذي يوقظ فيه غريزة حب الخير .

٢ . إذا قامت علاقة ما - ثقافية ، أو اجتماعية - بين المؤمنين وغير المؤمنين ، فستتاح الفرصة لكلا

الفرقيين ، للعمل على سيادة المبادئ الأخلاقية في المجتمع ، إذ يتعرف المؤمن على مالمدى الآخر ،

فيحاول بالحسنى - امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . [النحل : ١٢٥] - بيان جوانبها السلبية ، فيجد غير المؤمن نفسه

مضطراً ، إلى الاضطلاع على ماعند المؤمن ، وقد ينتج من هذا التبادل إيقاظ حب الفضيلة في

المجتمع ، وذلك ما تنشده الأديان .

خطت أمم كثيرة خطوات واسعة نحونا ، على الرغم من جهودنا ، وخشونتنا في مجال الدعوة

الإسلامية ، فاقتبسوا كثيراً من مبادئنا ، وألبسوها ثيابهم ، فخرجت إلهية الجوهر ، إنسانية المظهر ، ويكفى

للتدليل على هذا أن تقرأ معي هذا النص ، الذي كتبه برتراند راسل : " الأخلاق كالعلم ، ينبغي أن تكون

عامة ومترفعة جهد طاقة الإنسان عن تسلط الأنا والآن . وهناك قاعدة جديدة تصلح محكاً للمبادئ

الأخلاقية ، وهي : " يجب ألا يحتوى أى مبدأ على اسم علم ، واسم العلم - فيما أعنيه - هو كل تحديد

لشيء جزئياً محدداً زمانياً ومكانياً ، فهو يشمل أسماء الأفراد من البشر ، ويشمل أيضاً أسماء الأقاليم ،

والبلاد ، وفترات التاريخ ، وحينما أقول : إن المبادئ الأخلاقية يجب أن تكون على هذه الصفة ، فإني أعني

شيئاً يزيد على مجرد الموافقة العقلية الباردة ، لأن المبدأ الأخلاقي ، إذا لم يزد عليها فلا أثر له على السلوك

إلا قليلاً . إنما الذى أعنيه شيء أكثر فاعلية ، شيء من طبيعة الرغبة الفعالة ، أو الحافز الفعال ، شيء

تضرب جذوره في الخيال الودود ، فما كان للمجتمع من تقدم ، إلا من مثل هذه المشاعر العامة ، فلو اقتصرت آمالك ورغباتك على نفسك ، أو أسرتك ، أو أمتك ، أو طبقتك ، أو أبناء ملتك ، فستجد أن كل مودتك ومشاعرك الطيبة ، تقابلها كراهات ، ومشاعر عدائية ، وهذه هي الثنائية في مشاعر الناس ، التي تتجسم فيها الشرور الكبرى في حياة البشر ، شرور القسوة ، والظلم ، والاضطهاد ، والحروب . فإذا كان للعالم أن يسلم من الكوارث ، التي تهدده ، فليتعلم الناس عدم الانحصر في عواطفهم ."

فهو يدعو إلى عدم الأنانية ، أي إلى حب الغير ، والتمنى للغير ، بمثل ما يتمناه المرء لنفسه ، وهو ما جاء في الحديث الشريف : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ، وتلمح أيضاً دعوته إلى عدم الشعور بالعداء نحو الأجناس الأخرى ، حتى لا تتجسم الشرور فتندلع الحروب ، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا أصدق تعبير في قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْكُفْرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الدِّينِ وَلَا يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المنحة : ٨]

فالمبادئ الأخلاقية التي تسود المجتمعات البشرية ، تخضع لآراء واتجاهات شتى ، بعضها يتفق مع ما جاء به الإسلام ، والبعض الآخر يخالفه ، وواجبنا نحن المسلمين دراستها ، حتى نرفض ما نرفض ، ونقبل ما نقبل عن بينة ، لا عن جهل ، وإلا كانت خسارتنا فادحة في هذا المجال !!!

ب. العلم :

من القضايا المسلم بما أن الطفل يولد صفحة بيضاء ، لا يملك سوى الغرائز الطبيعية التي تساعد على البقاء ، والتكيف مع الظروف المحيطة به ، ثم يتدرج في معرفة ما حوله عن طريق التقليد ، والمحاكاة في محيط الأسرة والمجتمع ، فإذا استوى على عوده . تعددت مصادر معرفته ، وتختلف درجة الخضوع لواحد منها ، أو أكثر إلى الظروف الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد ، وهي كما ذكرها " هنتر ميد " في كتابه : " الفلسفة أنواعها ومشكلاتها " أربعة :

السلطة :

يذهب بعض العلماء إلى أن المصدر النهائي للمعرفة ، هو سلطة من نوع ما ، كالدولة ، أو التراث (هناك سلطة دينية لا تخضع للبحث ، لأن الخضوع لنصوص الوحي خضوع مطلق ، لا مجال للعقل فيه) .

وذلك لاعتبارات ، منها : القدم ، إذ يقال : إن أقدم مصادر المعرفة ، هو أكثرها يقيناً ، فإن أقدم نظم الحكم ، وأقدم العادات هي على الأرجح تلك التي تمثل الحقيقة والصواب . وقد شاع بين الناس أن " أقدم الطرق أفضلها " و " الذى تعرفه خير من الذى لا تعرفه " .

بُنِيَ هذا الرأى على مسلمتين ، إحداهما صحيحة ، والأخرى واضحة البطلان ، فالمسلمة المقبولة ، هي أن المذهب ، أو النظام ، كلما كان أقدم ، كان قد اجتاز الزمن أكثر من غيره ، وكان عمره ذاته دليلاً على أنه قد اجتاز هذا الاختبار بنجاح ، فلما كانت أجيال متعاقبة من الناس قد وجدته صحيحاً ، فإن احتمال أن يكون صحيحاً بالفعل أقوى من احتمال صحة ما لم يمر إلا بفترة قصيرة . ومن الممكن أن تعد هذه القاعدة فرعاً من قاعدة بقاء الأصلح ... أما المسلمة الأخرى التي تركز عليها حجة القدم فسرعان ما يتضح لنا بطلانها ، بمجرد أن نركز اهتمامنا عليها ، فكثيراً ما يقول أنصار مذهب السلطة : إنه لما كانت السن الكبيرة أحكم من الشباب ، فمن الواجب أن نبجل آراء أجدادنا ، وكما قال " و . ب . مونتاجيو " ، فإن هذه مغالطة تعرض لما 'الأذهان المحافظة بوجه خاص ، ولنقتبس هنا جزءاً من تحليله لهذا الخطأ :

" لو كان أجدادنا أحياء الآن ، لكانوا مسنين جداً ، وكانت آراؤهم بوصفها نتيجة أجيال من الخبرة ، جديرة بالتبجيل حقاً . ولكن في الوقت الذى صرح فيه أجدادنا بالآراء التي أصبحت الآن موغلة في القدم ، والتي يطلب إلينا تبجيلها ، كانوا صغاراً في السن مثلنا ، وكان العالم الذى يعيشون فيه أصغر بكثير من حيث خبرة النوع ، فمهما يكن قدم آرائهم ، فإنها تعبر عن طفولة الجنس البشرى ، لا عن نضجه . ومن هنا فإن قدم الرأى هو في واقع الأمر قرينة تنقص من حقيقته ، ولا تزيدها . "

العناد :

فالمعيار الثانى من نطاق السلطة بين الادعاءات المتعارضة ، هو معيار العدد ، فالرأى الذى يقبله أكبر عدد من الأشخاص هو الصحيح ، وذلك باطل من الوجهة الدينية لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ ضَلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . [الأنعام : ١١] ، وهذا أيضاً ما علمنا إياه التاريخ ، الذى يفصل بآراء للأغلبية ، ثبت بطلانها ، وأوضح مثل على ذلك هو : حقيقة أن الأرض مسطحة ، وهي حقيقة كانت في وقت من الأوقات اعتقاداً ، يقول به الجميع ، ولا يتشكك فيه أحد .

النفوذ :

هذا المعيار ينطوي على مشكلة ضمنية ، هي رأى الخبراء ، مادام الخبير في أى ميدان ، هو ذلك الذى اكتسب بوسيلة ما من النفوذ ما يكفى للنظر إليه على أنه سلطة ، أو حجة . ولعل هذا المعيار ، هو أقوى المعايير كلها تأثيراً ، لأن كل ذهن يتأثر بالنفوذ ، أو الهيبة ، مهما كان محصناً ضد معيارى القلم والعدد . والمشكلة العملية التى تواجهها ، ليست هى كيفية إزالة تأثير النفوذ من تفكيرنا ، مادام ذلك يكون مستحيلاً ، وإنما هى كيفية استخدامنا له بطريقة ذكية مشروعة .

إن الخطر الأكبر فى هذا الصدد ، هو الميل الطبيعى إلى تحويل النفوذ من ميدان إلى آخر ، وعلى حين أنه لا يوجد ميدان من ميادين الشؤون البشرية ، يظل بمنأى عن هذه الإغارة الفاسدة ، فإن أوضح الحالات فى أيامنا هذه ، تظهر عادة بالنسبة إلى العلوم . فسلطة الخبير العلمى بين زملائه من العلماء ، وبين عامة الجمهور ، تبلغ من الضخامة حدّاً . يجعلنا كلنا نندثر على الأرجح ، بأى رأى يديه فى أى موضوع . ليس هناك شخص محصن ضد تأثير النفوذ ، فكلنا تقريباً لنا مفكر معين ، يؤثر فى تفكيرنا وحياتنا ، ونميل إلى الاقتداء به ، حتى فى الأمور التافهة ، أو فى القرارات التى لا يكون للمفكر فيها مؤهلات خاصة . قد تقدم توجيهاً نافعاً ، وقد يتركز هذا النفوذ حول مذهب معين ، أو اتجاه ، بحيث يصبح متحكماً فى تحديد التفاصيل الصغيرة للحياة اليومية .

والمشكلة هنا ليست فى كيفية التخلص من كل سلطة ، فذلك محال ، ولكن فى طريقة اختيار الأصح دينياً ، واجتماعياً . وطريق ذلك مزيد من القراءة ، والاضطلاع غير المحدود بجنس ، أو وطن ، أو مذهب ، حتى يزداد المرء علماً ، فيكون قادراً على الحكم : وبالتالي على اختيار الأصح .

التصوف :

يرى البعض أن أفضل مصدر للمعرفة ، هو ملكة فوق الحس ، وفوق العقل ، تُحدّد أحياناً بأنهما : الحدس .

فما هى هذه الملكة ؟

يقولون : إنما تجربة باطنية ، يحياها المتصوف ، فيكتسب منها أهم معرفة له ، وعلى الرغم من أن كثيراً من الصوفية قد حاولوا وصف هذه التجربة ، فمن سوء الحظ أنهم يؤكدون أنها فى أساسها تجل عن

الوصف ، ويبدو أن إخفاق الجهود التي يبذلونها في هذا الوصف ، هو دليل على رأيهم هذا . ومن أسباب ذلك أن التجربة مختلفة عن كل التجارب الأخرى ، إلى حد بعيد ، كما أن من أسبابه أنها تستحوذ تماماً على المرء عندما تحدث . وبناءً عليه فعلى الرغم من كثرة الكتابات الصوفية ، فإننا لا نعرف بالفعل إلا القليل جداً عن التجربة الرئيسية التي كانت مصدراً لهذه الكتابات . ويمكن القول بأن معظم الناس قد مروا بتجربة شبيهة بتلك التجربة التي يتحدث عنها الصوفيون ، وذلك في اللحظات التي يتأملون فيها الطبيعة ، أو عندما يكونون إزاء أعمال فنية عظيمة ، أو عندما يستمعون إلى موسيقى معينة . وقد تحدث أيضاً لغير الصوفيين على أثر تجربة انفعالية معينة ، تتعلق بأشخاص آخرين ، كرؤية طفل ، أو محبوب نائم .

ومهما قيل في التجربة الصوفية ، فواقعها لا يفهم إلا بطريق فردى مباشر ، وهو في أساسه تجربة خاصة ، لا توصف ، ولا تقبل المشاركة ، فلا تعد أساساً لنقل المعرفة إلى الغير ، حتى على فرض التسليم بأنها مصدر من مصادر المعرفة لمن يمر بها .

العقل وسيلة المعرفة :

سبق الكلام على أن العقل وسيلة الفكر التي ميز الله به الإنسان عن سائر الكائنات الحية الأخرى ، فهو مصدر من مصادر المعرفة ، لأن الإنسان يعرف بواسطته الحقائق الأولية ، فقد أثبتت التجارب أن الذهن البشري يستطيع بشيء من التدريب أن يصل إلى مستوى رفيع من الدقة في استخدام الاستدلال للوصول إلى حقائق الأشياء . وهناك نماذج كثيرة استخدم فيها العقل للوصول إلى المعرفة اليقينية ، منها الدليل المشهور على وجود الله ، تصور الله ، تصور الكائن كامل ، بل أكمل كائن نستطيع تصوره . مثل هذا الكائن ، إذا كان كاملاً إلى هذا الحد ، لا ينبغي أن يكون مقتوراً إلى صفة من صفات الكمال ، فهو إذا كان - مثلاً - يفتقر إلى الوجود ، فإن الكائنات الأخرى ، التي تتصف بالوجود ، تكون أكمل منه . ومن هنا فلما كانت قوانين الفكر تقضى بالألا يكون هناك سوى كائن واحد ، هو " الأكمل " فلا بد أن يكون الله موجوداً .

ومنها ما قاله " بسكال " حول ضرورة الاعتقاد في وجود الله : " نستطيع أن نقول : إما أن يكون الله موجوداً ، وإما ألا يكون ، ولكن إلى أي جانب نحاز ! فلننظر في الأمر : إنك لما كنت مضطراً إلى الاختيار ، فإن عقلك لن يشعر بإهانة ، إذا اختار أحد الأمرين ، أو الآخر ، فتلك نقطة واضحة ، ولكن ماذا نقول عن سعادتك ؟ لنقارن المكسب والخسارة في حالة المراهنة على أن الله موجود بالفعل . إنك إذا راهنت

على أنه موجود ، وكان موجوداً فأنت الراح . ولو راهنت على أنه موجود ، ولم يكن موجوداً ، فلن تخسر شيئاً ، فإذا كسبت ، ربحت كل شيء ، وإذا خسرت ، لم تخسر شيئاً . فلترهن إذن ، بلا تردد على أنه موجود بالفعل ."

كانت الوسيلة التي استعملت في إنتاج الدليل الأول ، وفيما قاله " باسكال " هو العقل ، فهو أساس المعرفة ، وإن ساعده الوحي فيما يتعلق بما وراء لطبيعة . ولا يستطيع العقل القيم بهذه المهمة الفكرية ، إلا إذا تدرّب ، ولن يتحقق تدريبيه - في عصرنا الحاضر - إلا بمطالعة ما أنتجه الفكر البشري .

قد يقال : إننا لو تركنا مجال " الميتافيزيقا = السمعيات " - لأن الوحي قد قال فيه الكلمة الفاصلة - فإننا نجد أن العقول لم تتفق إلا على المبادئ الأولية الشاملة ، مثل : " قانون عدم التناقض " ، وما عداها فلا نجد سوى آراء متعددة ، ومذاهب متناحرة ، فكيف نعلم على العقل كمصدر للمعرفة ؟ والحقيقة أن الخلاف هو جوهر المعرفة ، وقد عبر عن ذلك أحد أنصار المذهب العقلي ، حين وصفه بأنه النظرية القائلة : إن المعرفة تُكتسب بمقارنة الأفكار بأفكار أخرى .

المعرفة الحقّة تأتي من قدح فكرتين ، أو أكثر سويّاً ، وإلا جهد الفكر ، وتختلف المجتمع عن السير في ركب الحضارة .

التجربة :

يقول " جورج ب . كونجر " : " إن الخصم المألوف للمذهب العقلي في المعركة الدائرة بين النظريات المختلفة للمعرفة ، هو المذهب التجريبي ، القائل بأن المصدر النهائي لكل معرفة ، هو التجربة أو الإحساس . ولا يلغى المذهب أهمية العقل ، والإحساس في الوصول إلى المعرفة ، عن طريق التجربة ؛ فالعلم يبدأ من المعطيات الحسية ، ويصوغ العقل فرضاً تفسيريّاً . وبعد ذلك يستنبط بالعقل أيضاً ، تلك النتائج التي يمكن توقعها ، عندما يجري تجربة فاصلة ؛ يستخدم في وضعها العقل والإدراك الحسي معاً ، وهذه التجربة ، هي التي تؤدي إلى تأكيد فرضه ، أو تنفيذه على نحو قاطع ، وبعد ذلك يقوم بإجراء التجربة . وهذا معناه : القيام بتحديد تجريبي لنتائج العمليات العقلية ، التي توسّطت بين الملاحظة الأصلية ، وبين التجربة . وهكذا يكون لدينا في العلم مزيج رائع من المنهجين ، العقلي والتجريبي ، فكل منهما يقوم بما هو أهل للقيام به ، ويترك المنهج الآخر ما يكون هذا الأخير أقدر عليه ."

تشارك الشعوب كلها - رغم اختلاف عقائدها وظروفها البيئية - في الحصول على ثقافتها ، عن طريق هذه المصادر الخمسة للمعرفة ، غير أنها تتفاوت في نسبة اعتمادها على واحد أكثر من الآخر ، وتختلف تبعاً لذلك معالم الثقافة ، ودرجة الحضارة ، ونوعيتها . غير أن الاتصال بين الحضارات المتنوعة ، يؤدي إلى تبادل الأفكار ، والخبرات ، ويدفع عجلة التطور إلى الأمام . ولولا ذلك لكان على كل أمة أن تقطع الطريق وحدها من أوله إلى آخره ، وفي ذلك إرهاق وعنت وإعاقة للتقدم الحضارى .

إذاً ، فالاتصال أمر حتمته ظروف الحياة ، وطبيعة التطور ، ولا يستطيع مجتمع ما أن يقصره على جانب دون آخر ، لأن للإنسان مشاعر وعقائد ، كما أن له إنجازات حضارية ، ولا يمكن أن يحدث الاتصال لتبادل الإنجازات المادية للحضارة ، دون أن يصحب ذلك تعبير عن المشاعر ، والعقائد ، بطريقة أو بأخرى . ولذا ينبغي أن ندرس أفكاره وعقائده ، حتى نكون على بينة من طبيعته ، إذا اضطررنا ظروفنا الحضارية أن نقيم معه علاقة ما .

عرفت شعوب كثيرة بهذه الحقيقة ، فعقدت لأبنائها قبل أن ترسلهم إلى الخارج دورات دراسية للتعرف على عقيدة ، وعادات الشعب ندى سيرسلون إليه ، حتى يمكنهم التعامل معه بأسلوب يحقق أهدافهم .

ما أحوجنا نحن المسلمين إلى أن نُدْرَس لدعاتنا أديان وعقائد الآخرين ، حتى يؤديوا مهمتهم - في حالة إرسالهم إلى تلك البلاد - على أكمل وجه !!!

٣- الثروة :

لا أريد الدخول هنا في متاهات الحديث عن مصادر الثروة ، ولا أرغب في الكلام عن النظريات الاقتصادية في توزيع الثروة ، بل أحب أن أشير إلى شيء معروف للجميع ، وهو ما تعبر عنه العبارة الشائعة : " المال عصب الحياة " ، وما عبر عنه الشاعر بقوله :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم * لم بين ملك على جهل وإقلال

فالمال عنصر أساسى لاغنى عنه في بناء الحضارات ، وقد قامت على أساسه منذ فجر التاريخ أنظمة كثيرة ، تمخضت في العصر الحديث عن :

الرأسمالية - الاشتراكية - الشيوعية

ولكى نفهم النظام الإسلامى فى عصرنا الحاضر ينبغى أن ندرس هذه الأنظمة الأخرى ، كسى نبيين للعالم ولشبابنا أيضاً - لأنه واقع (أردنا أم لم نرد) تحت تأثير أجهزة دعاية هذه الأنظمة - جوانبها السلبية فى بناء علاقات إنسانية كذلك التى يتمتع بها النظام الإسلامى ، وتحتم علينا دراستنا لهذه الأنظمة ، بيان الجوانب العقدية ، التى بنيت عليها ، وهذا يقودنا إلى ضرورة دراسة الأديان والعقائد الأخرى التى تدين بها تلك الشعوب التى اختارت هذا النظام أو ذاك .

٤- الماضى :

إن دراسة التاريخ - باستثناء دراسة تتابع الأسر الحاكمة - هى لون حديث من ألوان الفكر البشرى ، دُفع إليه الإنسان ، عندما تبين له أن معرفة الحوادث الماضية قوة دافعة تدفعه إلى الآمام ، فهو يهتدى بالماضى ، ليعيش الحاضر ، ويبنى المستقبل .

فإذا بحثنا مشكلتنا داخل هذا الإطار ، فهل نجد بين طيات تاريخنا أن المسلمين درسوا الأديان

الأخرى؟

نبينا التاريخ أن المسلمين بدؤوا فى دراسة الملل والنحل المختلفة فى وقت مبكر جداً ؛ إذ ظهرت أول دراسة لهذه الملل فى المجتمع الإسلامى فى العصر العباسى الأول ، فقد ترجم أحمد بن عبد الله بن سلام التوراة والإنجيل للخليفة هارون الرشيد ، كما ذكر اليعقوبى للتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ فى تاريخه ، يانات عن الأناجيل الأربعة ، واستشهادات دقيقة منها ، تدل على اضطلاعه عليها . وأورد المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ فى " مروج الذهب " لمعاً عن أخبار الملوك المنتصرة ، ذكر فيها انجماع لدينية . وفى موضع آخر من الكتاب (ج ١ ص ١٧٠) ، فى سياق حديثه عن النحل المختلفة ، أحال المسعودى القارئ على كتابه " أصول الديانات " . وذكر ابن النديم فى الفهرست مقالات عن المذاهب والاعتقادات فيما يزيد عن ستين صفحة .

ومن الكتب التى ألفها علماء مسلمون فى الأديان الأخرى :

- " الرد على النصارى " للمجاهد المتوفى سنة ٢٥٥هـ
- " مقالات غير الإسلاميين " لأبى الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ (ومن كتبه المفقودة كتاب : " الفصول " الذى وصفه ابن عساكر بأنه يشتمل على اثنى عشر كتاباً ، رد فيه

- الأشعري على البراهمة ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس . كما ألف كتاباً آخر ، فيه بيان مذاهب النصارى ، وكتاباً ثالثاً ، يحتج فيه عليهم من سائر الكتب)
- " أصول الديانات " للمسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ -
 - " تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " للبيروني المتوفى سنة ٤٤٨هـ -
 - " الفصل في الملل والنحل لابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ -
 - " الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل " للإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ -
 - " الملل والنحل " للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ -
 - " مقامع هامات الصليبان ومرافع روضات الإيمان " لأبي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢هـ ()
حققنا هذا الكتاب ونشرناه تحت عنوان : " بين الإسلام والمسيحية "
 - " اعتقادات المسلمين والمشركون " للفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ -

٥- الحاضر :

يقف العالم الإسلامي اليوم على مفترق الطرق ، تتنازعه تيارات واتجاهات متعددة ، أصابت شبابه بحيرة فكرية ، فهو يتساءل :

أيلبى نداء الماركسية ، الداعية إلى الحرية ، ومحاربة الاستعمار ، وبالمساواة بين الطبقات والمبشرة بغد أفضل ؟ لا..... لا..... لا..... ، فواقعها يكذب ماتقول ، فقد انهارت بسبب انعدام الحرية في المناطق التي كانت تسيطر عليها ، إذ لم تتخل عن أساليب الاستعمار مع الشعوب التي وقعت في دائرة نفوذها ، وفضلاً عن ذلك ، فتمركزت مميزات الطبقات دلها في طبقة واحدة ، ألا وهي طبقة زعماء الحزب الحاكم ، فقد كانوا يعيشون عيشة قياصرة القرون الوسطى ، بينما الشعب كان يقاسى من آلام الحرمان والجوع ، وفوق هذا كله فقد كانت - ولا تزال أفكارها - قائمة على الإخاد ، وتلك هي الطامة الكبرى !!!

أم يسير في فلك الرأسمالية ، ليتمتع بما تملك من إنجازات حضارية ، فهي تقدم وسائل الراحة في جميع أنشطة الحياة ، وفضلاً عن ذلك ، فهي تدعو - كما تصور ذلك وسائل إعلامها والداعين إليها في البلاد الإسلامية - إلى الديمقراطية ، وتحترم - بل تقدر - حياة الفرد ؟ لا..... لا..... لا... فماضيهما المؤلم مع الشعوب الإسلامية لازال ماثلاً في الأذهان ، وهي لم تتخل عن محاولة السيطرة على الشعوب - وإن تغير

الأسلوب القديم - التي تسير في فلكتها ، أو التي تحيد عن طاعتها - كما هو مائل أمامنا اليوم في أفغانستان والعراق - ، فلن تسمح يوماً - إن استطاعت - بأن يعود الإسلام ويقوى في أى بقعة من بقاع العالم !!!

أم يطبق النظام الإسلامى ، فهو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد أثبتت التجارب صلاحيته ، فحين طُبِّقَ في الماضى ، كانت الحرية حقاً لكل الناس ، والحياة الكريمة مكفولة للجميع ، والناس في المجتمع سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ؟ ولكن صورة الماضى القريب ، وما يسمعه من بعض المتحدثين باسم الدين ، يشط همته ، ويوهن عزيمته ، فيفتخر حماسه ، وتهدأ ثورته ، ويبدو وكأنه قد صب عليه ماء بارد ، ذلك أنه قرأ في تاريخ العالم الإسلامى في القرون المتأخرة ، أن أصواتاً نادى آنذاك ، ومعظمها من المتحدثين باسم الإسلام ، بعدم الاتصال بأوروبا ، التي كانت تبني نهضتها في ذلك الوقت فانقطعت الاتصالات ، وانعدم الاهتمام بسبل الحياة في العالم الخارجى ، وصار تتبع الأحداث العالمية لا وجود له ، فلا يعرف شيء عن مدى التقدم ، الذى تحرزه المجموعات البشرية الأخرى في عالم الحضارة ، ولا تُسَمَّع أخبار الاكتشافات العلمية ... إلى أن جاء الوقت ، الذى اضطر فيه العالم الإسلامى ، إلى فتح أبوابه على العالم الخارجى ، فوجد نفسه متخلفاً قرونًا طويلة ، ولم يستطع الوقوف أمام تيارات التقدم الهائل ، فقد أظهرت حملة نابليون " أن الصراع بين الشرق والغرب ، يدار بأسلحة غير متساوية ، فالمعركة بين طرفين غير متكافئين ، لأن تقدم البلاد الغربية منحها تفوقاً حضارياً ، ومكنتها من أن تكون سيدة المعركة ، ولم يستطع العالم الإسلامى الصمود أمام هذا التفوق الحضارى ، لأنه عاش منطوياً على نفسه حقبة طويلة ، أضعفته ، وأهكته ، بحيث سقط أمام الزحف الغربى سياسياً واقتصادياً .

ويبدو أن الزمن قد وقف بالشرق قرونًا طويلة ، فظل ثابتاً مجمداً ، لم يطرأ عليه جديد ، وبدا وكأنه لم ير هذه القرون ، ولم يعيشها ، ولم يكن لما طرأ عليه من تغيير داخلى - في نوع الحكم وتعدد الحكام - أى تأثير إطلاقاً ، وبالتالي لم يكن له أى نوع من التطور السياسى والاقتصادى ."

فإذا تلاشت هذه الصورة التاريخية من ذهن الشباب ، وأقبل على الإسلام محاولاً تطبيق تعاليمه في مجالات الحياة المتعددة ، اعترضته عقبات ؛ إذ لم يقم المتخصصون بصياغة تعاليمه بأسلوب عصري ، وبعضهم لم يفهم متطلبات العصر ، فأفتى بتحريم أشياء لاصلة لها بالدين ، بل هى تدخل في إطار ما عبر عنه الرسول ﷺ بقوله : " أنتم أعلم بشئون دنياكم " ، وتصدى لتيارات فكرية حديثة ، دون أن يعرف عنها إلا النذر اليسير - وأحياناً لا يعرف عنها إلا الاسم فقط - فجاء حديثه عنها مثاراً للسخرية والاستهزاء .

ماذا تقدم الجامعة لهذا الشباب الخائر ؟ أتفرض عليه النظام الإسلامى ، دون أن تبين مزاياه ، وتوضح الجوانب السلبية فى النظم الفكرية الأخرى ؟

قد يقبله بدافع العقيدة ، ولكنه سيظل مُعَرَّضاً للإصابة بأى تيار فكرى آخر - لأن الجامعة لم تسهم فى بناء فكره على أساس سليم - ويومها لن يستطيع الخلاص إلا إذا سمع الداعية القادر على إقناعه بأن المذاهب الفكرية الحديثة ، لا تخلو من جوانب سلبية ، قد تكون خطراً على المجتمع ، ولا يمكن أن يقوم أى داعية بهذه المهمة ، إلا إذا درس تلك المذاهب دراسة وافية ، فعرف جذورها العقدية ، واتجاهاتها المادية والروحية .

٦- المستقبل :

سوف يتحدد مستقبل الدعوة الإسلامية ، على ضوء مقدار فهم الدعاة لمتطلبات العصر ، فإدراكهم لعقلية الشباب عامل مهم جداً فى تأدية واجب الدعوة ، ودراساتهم للتيارات الفكرية المعاصرة عنصر أساسى فى نجاح مهمتهم ، ومعرفتهم للأديان الأخرى أمر حتمى ، فهم فى حاجة إلى ذلك ، سواء قاموا بالدعوة داخل المجتمعات الإسلامية ، أو فى خارجها ، لأن انتشار الأفكار ، لا تحده اليوم حدود جغرافية ، فوسائل الإعلام المرئية والمسموعة تفتح كل بيت ، كما أن للشباب - وخاصة المثقفين منهم - وسائل أخرى متعددة فى الاضطلاع على ثقافة ومعتقدات الآخرين . فإذا لم يكن الداعية على علم بما ، لا يستطيع التفاهم معهم . كذلك لا يمكنه القيام بمهمته خارج المجتمع الإسلامى على أكمل وجه ، إذا لم يعرف عقيدة من يخاطبهم .